تقييم المعنيين لقضايا الجماعات الفرعية كما يعكسها الإنتاج الوثائقي الأنثروبولوجي: دراسة كيفية

أ. إلهام أبوزيد عشري*

إشراف / أ.د منى سعيد الحديدي*

ملخص الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى تحليل آراء المعنيين حول كيفية تقديم تمثيل دقيق وغير منحاز للجماعات الفرعية (*) في الوثائقيات الأنثروبولوجية، ودراسة تأثير المعايير الإنتاجية على الوثائقيات وكيف يمكن أن تؤثر في إبراز أو تهميش جوانب من الحياة الثقافية والاجتماعية لهذه الجماعات. كما تهدف إلى مناقشة التحديات التي يواجهها صناع الوثائقيات في مجالات الإنتاج وظروف العمل، إضافة إلى التحديات الأخلاقية المتعلقة بالتحيز وخصوصية الجماعات. تم إجراء المقابلات المتعمقة مع عينة عمدية تضم ١٦ متخصصًا، موزعين بين ٩ متخصصين في الإنتاج الوثائقي (مخرجين، معدين، مصورين)، و٧ في الأنثروبولوجيا المرئية (أكاديميون وصناع محتوى أنثروبولوجي على اليوتيوب). تم اختيار هذه العينة بعناية لضمان تمثيل شامل للتخصصات المرتبطة بالموضوع.

توصلت الدراسة إلى عدة نتائج منها: اتفق المعنيون على ضرورة معالجة قضايا الجماعات الفرعية بعمق أكبر، مع التأكيد على أهمية التوازن بين إبراز الجوانب الإيجابية والسلبية لهذه الجماعات. كما أشار العديد إلى أن الإعلام والأفلام الوثائقية غالبًا ما تشوه الصورة الحقيقية للجماعات الفرعية بسبب غياب الاحتكاك المباشر مع هذه الجماعات واعتماد المخرجين على تصورات مسبقة. من جهة أخرى، أكدت الدراسة على دور الوثائقيات الأنثروبولوجية في تعزيز الوعي الثقافي، حيث تُعتبر هذه الأفلام أداة فعالة لتمكين المجتمعات من التعبير عن أنفسها بطريقة تفاعلية وفنية. ورغم التحديات الإنتاجية والاجتماعية التي تواجه صناعة الأفلام الوثائقية، بما في ذلك قضايا التوزيع ونقص الدعم المؤسسي، تظل الفرص الرقمية متاحة لصناعة أفلام وثائقية ، حيث تسهم في نشر هذه الأعمال للجمهور.

كما أظهرت الدراسة أن التعاون بين الباحث الأنثروبولوجي والمخرج الوثائقي يمثل جزءًا أساسيًا من نجاح الوثائقيات الأنثروبولوجية. هذا التعاون يعزز من التكامل بين المعرفة العلمية للباحث والخبرة الفنية للمخرج، مما يساهم في تحسين جودة المنتج النهائي. إلا أن هذا التعاون لا يزال محدودًا وغير مؤسسي في كثير من الأحيان، مما يؤثر على نتائج الأعمال الوثائقية.

أخيرًا، أظهرت الدراسة أن مستقبل الأنثروبولوجيا المرئية في مصر والعالم العربي مرتبط بقدرتها على التكيف مع التطورات التكنولوجية مثل الذكاء الاصطناعي والرقمنة، مما يتطلب تدريب الباحثين وصناع الأفلام على استخدام هذه الأدوات بشكل فعّال.

الكلمات الدالة: تقييم، المعنيون، قضايا، الجماعات الفرعية، البدو، النوبة، الأمازيغ، الصعيد، الريف، الإنتاج الوثائقي، الأنثروبولوجيا المرئية.

---

* المدرس المساعد بقسم الإذاعة والتليفزيون كلية الإعلام – جامعة القاهرة.

* الأستاذ بقسم الإذاعة والتليفزيون كلية الإعلام – جامعة القاهرة.

* الجماعة الفرعية Subgroup: هي جماعة تعتبر جزءاً من جماعة أكبر منها، يكون لها ثقافتها الفرعية المميزة والتي تختلف عن الثقافة الكلية للمجتمع في بعض المظاهر كاللغة أو العادات أو القيم أو المعايير الاجتماعية (محمد غيث، ١٩٧٩، ص ٤٧٦).

Evaluation of Specialists' Perspectives for the Issues of Sub-Groups as Reflected in Anthropological Documentary Production

A Qualitative Study

Elham Abo Zied Ashry [*]
Supervised by: Prof. Dr. Mona Said El-Hadidy [*]

Abstract:

This study aims to analyze specialists' perspectives on how to present an accurate and unbiased representation of sub-groups [*]in anthropological documentaries. It also explores the impact of production standards on documentaries and how they can either highlight or marginalize aspects of the cultural and social life of these groups. Additionally, the study discusses the challenges faced by documentary filmmakers in production and work conditions, as well as the ethical challenges related to bias and the privacy of these groups. In-depth interviews were conducted with a purposive sample of 16 experts, consisting of 9 specialists in documentary production (directors, editors, and cameramen), and 7 specialists in visual anthropology (academics and content creators on YouTube). This sample was carefully selected to ensure comprehensive representation of the disciplines related to the topic.

The study reached several conclusions, including the experts' agreement on the necessity of addressing the issues of sub-groups in greater depth, emphasizing the importance of balancing the positive and negative aspects of these groups. Many experts also pointed out that media and documentaries often distort the true image of sub-groups due to a lack of direct interaction with these groups and filmmakers' reliance on preconceived notions. On the other hand, the

[*] Teaching Assistant, Radio & TV Department, Faculty of Mass Communication, Cairo University .

[*] Professor, Radio & TV Department, Faculty of Mass Communication, Cairo University .

[*] Subgroup: A subgroup is a group that is considered a part of a larger group, possessing its own distinctive subculture, which differs from the overall culture of the society in certain aspects such as language, customs, values, or social norms (Mohamed Gaith, 1979, p. 476). .

study highlighted the role of anthropological documentaries in raising cultural awareness, as these films are an effective tool for enabling communities to express themselves in an interactive and artistic manner. Despite the production and social challenges faced by documentary filmmaking, including distribution issues and the lack of institutional support, digital opportunities remain available for producing documentaries that contribute to deliver of these works to the public.

The study also showed that collaboration between the anthropological researcher and the documentary filmmaker is an essential part of the success of anthropological documentaries. This collaboration enhances the integration of the researcher's scientific knowledge with the filmmaker's technical expertise, contributing to the improvement of the final product. However, this collaboration remains limited and often lacks institutional support, which affects the outcomes of documentary works.

Finally, the study revealed that the future of visual anthropology in Egypt and the Arab world is linked to its ability to adapt to technological advancements, such as artificial intelligence and digitization. This requires training researchers and filmmakers to effectively use these tools.

Keywords: Evaluation, specialists, issues, sub-groups, Bedouins, Nubians, Amazigh, Upper Egypt, rural areas, documentary production, visual anthropology.

أولاً: المشكلة البحثية:

تواجه المواد الوثائقية الأنثروبولوجية في مصر تحديات كثيرة في توثيق أوضاع الجماعات الفرعية، حيث يقتصر التركيز في هذه المواد على تقديم صور قد تكون غير شاملة أو منحازة لهذه الجماعات. وقد يكون لهذا التوجه تأثيرات سلبية على فهم التنوع الثقافي والاجتماعي، حيث قد تسهم الصور النمطية في تعزيز التحيزات الثقافية. من أبرز هذه التحديات هو تأثير صانعي الوثائقيات والمعايير الإنتاجية التي قد تحرف التمثيل الحقيقي لهذه الجماعات، مما يؤدي إلى عرضها من زوايا ضيقة قد تؤدي إلى تهميش جوانب حياتهم الثقافية والاجتماعية المتعددة.

بناءً على ذلك، تبرز الحاجة لإجراء مقابلات مع المعنيين بالأنثروبولوجيا المرئية لدراسة واقع هذه الجماعات من منظور أنثروبولوجي، وكذلك لدراسة فعالية المواد الوثائقية كوسائط أنثروبولوجية في تمثيل أوضاع الجماعات الفرعية، بالإضافة إلى تقييم تأثير وجهات نظر صانعي الأفلام والجهات المنتجة على هذا التمثيل. كما يستدعي الأمر فحص الفجوات والتحديات التي تواجه الوثائقيات في تقديم تمثيل دقيق وشامل للجماعات الثقافية المختلفة.

ثانيًا: أهداف الدراسة:

١. **إجراء مقابلات مع صناع الوثائقيات والمتخصصين في الأنثروبولوجيا المرئية:** جمع وتحليل وجهات نظرهم حول التحديات التي تواجههم في تقديم تمثيل موضوعي وغير متحيز للجماعات الفرعية، مع تقييم مدى دقة وشمولية وثائقيات الأنثروبولوجيا في تصوير أوضاع هذه الجماعات وتجاربها الثقافية والاجتماعية.
٢. **دراسة تأثير المعايير الإنتاجية:** بحث دور المعايير الإنتاجية في توجيه محتوى الوثائقيات وكيف تؤدي إلى إبراز أو تهميش جوانب معينة من الحياة الثقافية للجماعات الفرعية.
٣. **جمع آراء صناع المواد الوثائقية حول تجاربهم الشخصية:** فهم كيفية تأثير تجاربهم مع الجماعات الفرعية على رؤيتهم الإبداعية ومناقشة التحديات الميدانية التي تواجههم أثناء التصوير، مثل القبول المجتمعي.
٤. **وضع توصيات لتحسين التمثيل:** تقديم مقترحات لتعزيز تمثيل الجماعات الفرعية في وثائقيات الأنثروبولوجيا ، مما يسهم في تعزيز الفهم المتبادل بين الثقافات المختلفة.

ثالثًا: أهمية الدراسة:

الأهمية العلمية:

١. **تحليل فعالية الوسائط الأنثروبولوجية:** تتيح الدراسة فحص دور الوثائقيات كأداة أنثروبولوجية في نقل المعرفة الثقافية، وكيفية تأثير معايير الإنتاج ووجهات النظر الخاصة بصانعي الوثائقيات في تمثيل هذه الجماعات.
٢. **فتح آفاق للبحث في الأنثروبولوجيا المرئية:** من خلال التركيز على الأنثروبولوجيا المرئية، تساهم الدراسة في تطوير هذا المجال البحثي، وتعزز من استخدام الوسائط المرئية في فهم الثقافات المختلفة وتوثيقها.

الأهمية المجتمعية:

١. **زيادة الوعي المجتمعي وتحفيز التغيير الاجتماعي:** يمكن أن تُستخدم نتائج الدراسة في حملات توعية حول قضايا الجماعات الفرعية، مما يعزز من فهم المجتمع لقضاياهم وتحدياتهم.
٢. **مكافحة الصور النمطية:** تساعد الدراسة في تقليل الانحيازات الثقافية التي قد تساهم في تعزيز الصور النمطية السلبية.
٣. **التأثير على السياسات الإعلامية:** يمكن أن تساعد نتائج الدراسة في توجيه صناع السياسات الإعلامية نحو تطوير معايير أكثر دقة في تمثيل التنوع الثقافي في الإعلام، مما يعزز التوازن في الخطاب الإعلامي.

رابعًا: الدراسات السابقة:

في حدود ما أتيح للباحثة من مراجعة للدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع الدراسة، قُسمت الدراسات المرتبطة بموضوع الدراسة إلى محورين رئيسيين وهما :

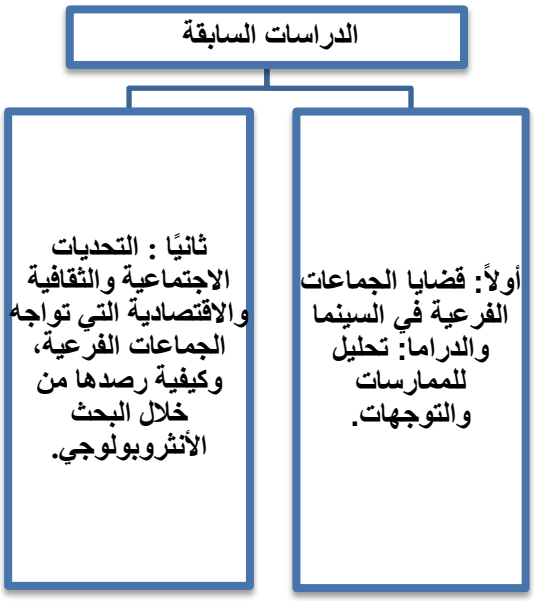

أولاً: قضايا الجماعات الفرعية في السينما والدراما: تحليل للممارسات والتوجهات.

تتناول مجموعة من الدراسات البحثية قضايا بعض الجماعات في مصر، مسلطة الضوء على تمثيل هذه القضايا في في السينما والدراما، حيث أظهرت هذه الدراسات تحديات واضحة في تصوير هذه الفئات .

في هذا السياق، اهتمت دراسة ياسمينا محمد (٢٠٢٣) بالكشف عن القضايا البدوية كما تعكسها الأفلام السينمائية. من خلال التركيز على الفترة الزمنية من خمسينيات القرن العشرين وحتى

العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين. وكشفت نتائج الدراسة عن وجود ٦٥ فيلمًا عن البدو في السينما المصرية، حيث تمثل ١٩ فيلمًا عن البدو العرب بشكل عام، و٤٦ فيلمًا عن بدو مصر بشكل خاص ، كما كشفت النتائج عن وجود ست قضايا أساسية تناولتها الأفلام السينمائية، والتي تم تقسيمها إلى: قضايا اجتماعية (مثل التهميش والعزلة الاجتماعية، والرؤى المتبادلة بين البدوي والحضري)، قضايا قانونية (مثل رفض الامتثال للقانون الوضعي، ووضع اليد "الملكية غير الرسمية")، وقضايا سياسية (مثل علاقة البدو بالسلطة والأجهزة الرسمية، الوطنية والانتماء).

من جهة أخرى، ركزت دراسة يمنى محمد عاطف (٢٠٢١) على دور الإعلام المرئي (دراما) بالقنوات الفضائية في تحقيق الدمج الثقافي للمجتمع النوبي كنموذج للجماعات الإثنية في مصر، والتعرف على النمط الأكثر استخدامًا من قبل وسائل الإعلام المرئية في التعامل مع الجماعات الإثنية كفئات مهمشة نسبيًا وذات طبيعة ثقافية خاصة. هدفت الدراسة إلى التعرف على رأي أفراد العينة من النوبيين بحجم واتجاه تناول القنوات الفضائية لقضايا المجتمع النوبي في الأعمال الدرامية والبرامج، واستطلاع آراءهم في تواجد الشخصية النوبية في الأعمال الدرامية، وطبيعة هذا التواجد، والصورة الذهنية التي يرسخها المحتوى الإعلامي. كما رصدت مظاهر أنماط التعامل الإعلامي مع النوبيين، وتعرفت على الآليات التي تمكّن الإعلام من تحقيق دمج ثقافي للنوبيين. وانتهت الدراسة إلى عدم قيام الإعلام المرئي عبر القنوات الفضائية بدور إيجابي في عملية الدمج الثقافي بين الجماعات الإثنية وبين باقي المجتمع، رغم كونه وسيلة جماهيرية عالمية تعتمد على الصورة التي يمكن من خلالها نقل المفردات الثقافية المتعلقة بالحركة واللون. كما أنه لا زال يحظى بنسب مشاهدة مرتفعة بين أبناء المجتمع المصري عامةً والنوبي خاصةً، وإن كان الإعلام الجديد بشبكات تواصله الاجتماعية قد بدأ في منافسة الإعلام الجماهيري المرئي، خاصة لدى الجماعات الإثنية والمهمشين، الذين يجدونه نافذة لهم على المجتمع المحيط والعالم، وأن التنميط هو أسلوب التعامل الأبرز الذي يستخدمه الإعلام المرئي الرسمي والخاص مع النوبيين.

تُظهر دراسة فاطمة الزهراء صالح (٢٠١٧) كيف عرضت الدراما المصرية مجتمع الصعيد، وذلك عن طريق رصد وتحليل آراء عينة من جمهور جنوب الصعيد (سوهاج، قنا، أسوان) وعرض تفسير لأسباب نمطية الصورة التي تناولتها تلك الدراما. ولقد تم استخلاص عدة مؤشرات، جاءت على النحو الآتي: اهتمام صناع الدراما بتشكيل الرسالة الإعلامية لمجتمع الصعيد، والعمل على إبرازها من خلال التكرار المتعمد لأنماط معينة من السلوكيات غير المرغوبة اجتماعيًا، وتنميط أفراده من خلال أحداث تلك الدراما، متجاهلين التفاوتات الإنسانية، واستخدام صفة واحدة أو عدد قليل من الصفات لوصف مجتمع بأكمله.الصورة الإعلامية التي صاغتها الدراما عن الصعيد وسكانه هي انعكاس لرؤية صناع تلك الدراما نحو هذا المجتمع، والتي ساهمت في بلورتها مجموعة من العوامل الاقتصادية والسياسية، وأيديولوجية جماعات المصالح، والسياق الثقافي والمجتمعي.أظهرت الدراسة التحليلية الدور السلبي الذي لعبته الدراما في تنميط مجتمع الصعيد وتزييف الواقع، والعمل على تكرار الأحداث في جميع العينة التحليلية، وذلك في إطار رسم وترسيخ الصورة التي تريدها تلك الدراما.

واستندت دراسة أسماء عارف (٢٠١٩) إلى نظرية إدارة المزاج العام في تقييم تأثير الدراما التي تعرض قضايا الصعيد على الحالة المزاجية للجمهور، والتطبيق علي (٤٠٠) مفردة في محافظة (أسوان – الأقصر – قنا- سوهاج) وتحليل (١٠) عشرة مسلسلات تليفزيونية تعرض قضايا مجتمع الصعيد أشارت النتائج إلى سلبية المزاج العام كمكون شعوري للجمهور الصعيدي بالنسبة للمسلسلات التي تعالج قضايا الصعيد بشكل عام، وجاءت درجات المزاج الشخصي سلبي بنسبة ٨٢.٥% الأمر الذي يشير إلى سلبية الحالة المزاجية العامة والشخصية لدى الجمهور.

ثانيًا: التحديات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية التي تواجه الجماعات الفرعية من خلال البحث الأنثروبولوجي

تسعى دراسة إخلاص الشاذلي (٢٠٢٤) إلى إلقاء الضوء على دور المرأة الأمازيغية في المجتمعات الحدودية بين مصر وليبيا في الحفاظ على الهوية الثقافية، وذلك من خلال التعرف على دورها في الحفاظ على نمط المسكن والتمسك بارتداء الزي الأمازيغي، وكذلك الحفاظ على عادات الطعام، وأيضًا دورها في الحفاظ على اللغة العربية. وأخيرًا، دور المرأة في الحفاظ على الحرف التقليدية والتحديات التي تواجهها. ولتحقيق تلك الغايات، استخدمت الدراسة بعض المناهج، حيث اعتمدت على المنهج الأنثروبولوجي الذي يعتمد على الملاحظة والوصف والمقارنة والإخباريين. كما استخدمت المنهج التاريخي ومنهج دراسة الحالة الذي يهتم بدراسة المواقف المختلفة في مجالها الاجتماعي ومحيطها الثقافي. أجريت الدراسة على مجتمع واحة سيوة التابعة لمحافظة مطروح، وتم تطبيق الدراسة على عينة مختارة من الإخباريين قوامها (١٥) من الذكور والإناث. وتوصلت الدراسة إلى أن أفراد المجتمع يفضلون الحديث باللغة الأمازيغية عندما يختلط بهم أناس غرباء، سواء كانوا وافدين أو سائحين. ويحرصون على الحفاظ على الزي السيوي الخاص بهم رغم حدوث بعض التغييرات من حيث التأثر بالملابس الحديثة، سواء للرجال أو النساء. ومن التحديات التي تواجه المرأة الأمازيغية ضعف تسويق المنتجات الحرفية نظرًا لعدم تواجد السياح في مجتمع الدراسة طوال شهور العام.

تشير دراسة إيمان حمود (٢٠٢٢) إلى أن البدو إحدى أهم المجتمعات داخل المجتمع المصري التي تتسم بعدة خصائص ومميزات تميزها عن مجتمعات الوادي والدلتا؛ حيث تعد حائط الصد الأول عن الأراضي المصرية، وهي تتوزع على طول الحدود المصرية. تستأثر المجتمعات البدوية بنحو ربع سكان مصر تقريبًا، وتعاني هذه المجتمعات من التهميش والإهمال والعزلة؛ ولكن يجب الاهتمام بها والعمل على دمجها داخل المجتمع المصري، والتركيز على سكان هذه المناطق والعمل على تنميتها ضمن برامج التنمية في مصر.

وصفت دراسة إيمان نصري (٢٠٢٢) بعض الأوضاع المعيشية والديموجرافية لبدو سيناء، حيث استهدفت الدراسة التعرف على المشكلات الاجتماعية والبيئية التي تواجه تلك القبائل في السنوات الأخيرة، وسبل التكيف الثقافية والاقتصادية والاجتماعية المتبعة. وقد تم تطبيق مقابلات شخصية متعمقة مع عينة عمدية من الشيوخ والشباب والسيدات ، وأظهرت النتائج عدم اهتمام الأسرة بتعليم الفتاة إلى ما بعد سن (١٢ عامًا). كما أنه لا زال عمل المرأة في

السوق الرسمي لا يشكل دورًا فعالًا أو مؤثرًا في رفع المستوى المعيشي للأسرة البدوية، لا سيما حالة واحدة فقط، التي تمكنت من الاستمرار بالتعليم إلى مرحلة ما بعد التعليم الجامعي، وتمكنت من اللحاق بسوق العمل الحكومي.

تهدف دراسة حاتم عبد المنعم ؛ جمال شفيق وآمال محمد. (٢٠١٦) إلى الكشف عن المشكلات الاجتماعية لأهالي النوبة وعلاقتها بالانتماء، من خلال التطبيق على (٤٠٠) شخص من أهالي النوبة. وتوصلت الدراسة إلى أن هناك العديد من مشكلات الرعاية الاجتماعية بمنطقة النوبة الجديدة، منها عدم وجود ضمان اجتماعي كافٍ. أيضًا بينت الدراسة شدة انتماء النوبيين لبلدهم مصر، وأنهم يفضلون جنسياتهم المصرية على اكتساب الجنسيات الأجنبية. ويرون أنهم لم يحصلوا على حقوقهم حتى الآن، حيث لا توجد مساواة في الحقوق والفرص داخل المجتمع المصري من وجهة نظرهم. كما بينت الدراسة أن هناك شعورًا بين النوبيين بأنهم تعرضوا لظلم تاريخي من الأنظمة المصرية المتعاقبة، حيث أقروا بأن التهجير مثل لهم ظلمًا تاريخيًا.

تهدف دراسة جمال محمد (٢٠١٦) إلى التعرف على أبعاد التمكين الاقتصادي للمرأة المعيلة في القطاع غير الرسمي في الريف، وذلك من خلال تحليل الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للمرأة المعيلة في القطاع غير الرسمي في الريف المصري. ومعرفة خصائص الحياة الأسرية والاقتصادية وأنماط التكيف والمواجهة، والتعرف على طبيعة وخصائص مشكلات العمل. وتم ذلك باستخدام منهج دراسة الحالة والاعتماد على جمع البيانات المتوفرة من خلال الملاحظة والمقابلة مع الحالات. وشملت هذه الحالات عدد (٥٠) مفردة من النساء المعيلات، واللاتي يعملن في أنشطة اقتصادية مختلفة داخل القطاع غير الرسمي في محافظة المنوفية.وقد توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج التي تعتبرها جديرة بوضعها أمام صانع القرار في المجتمع المصري. وخلصت الدراسة الميدانية أن غالبية أسر حالات الدراسة من المرأة الريفية المعيلة تتميز بأنها أسر بسيطة نووية، وأن نمط الأسرة الممتد لا يظهر وجوده بشكل كبير ، وذلك نظراً للظروف الاقتصادية والاجتماعية التي مر بها الريف المصري على مر تاريخه ، بالإضافة إلي كبرحجم أسر حالات الدراسة مما يصعب معه وجود نمط الأسر الممتده خاصة مع وجود مساكن ضيقة جدا يكاد يطلق عليها مسكن الغرفة الواحدة يسكنها في بعض الأفراد تسعة أفراد.

استهدفت دراسة فاطمة يوسف؛ ماهر إبراهيم ؛ ودينا محمود (٢٠١٧) التعرف على مستوى التحديث للمجتمعات البدوية وعلاقته بالثوابت والمتغيرات المرتبطة بالموروث الثقافي الشعبي. وتوصلت الدراسة إلى وجود علاقة إيجابية بين القيم والمستوى العام للتحديث لدى المبحوثين؛ حيث توجد علاقة بين قيمة التعاون، قيمة الإنجاز، قيمة تملك الأراضي الزراعية، قيمة العمل، وبين المستوى العام للتحديث. وانتهت الدراسة بمجموعة من التوصيات وهي: ضرورة الاهتمام بالخدمات الصحية ونشر الوعي الصحي، والاهتمام بالخدمات التعليمية من خلال توفير المدارس وفصول محو الأمية، والعمل على زيادة درجة فاعلية المشاركة الشعبية وذلك من خلال تفعيل دور الجمعيات الأهلية عن طريق تكثيف عرض برامج وسائل الإعلام للنماذج الناجحة للجمعيات الأهلية.

تهدف دراسة أمل محمود (٢٠١٦) إلى التعرف على أثر الاتصال الثقافي بين الجماعات الوافدة والجماعات الأصلية بالواحات البحرية على العلاقات الاجتماعية، وأثر العلاقات الاجتماعية (الجيرة – الصداقة – الزواج) بين الجماعات الأصلية والوافدة، وإلى أي مدى أثر الاتصال الثقافي على الميل نحو التغيير في الثقافة السائدة. اعتمدت الدراسة على المنهج الأنثروبولوجي بأدواته المختلفة، وتوصلت إلى العديد من النتائج، أهمها: وجود نوع من التكيف بين الجماعات الوافدة والجماعة الأصلية. أوضحت الدراسة أن كلتا الثقافتين تأثرتا وأثرتا في الأخرى، وقد اختلفت درجات التأثير من واحدة لأخرى، حيث ساعدت عملية التمثيل الثقافي كالتشابه بين الثقافتين والمشاركة في الاقتصاد المحلي على إقامة علاقات وثيقة في الصداقات وحسن الجوار والزواج، مما قد يؤدي إلى ضعف الحدود والفواصل بين الجماعات. كما أدى الاحتكاك الثقافي بين الجماعات الوافدة والأصلية إلى تغير النمط التقليدي في حياة أبناء الواحة، وخاصة نمط الزراعة.

حاولت دراسة ذكري عبدالمنعم (٢٠١٢) فهم نظرة السكان الحضريين لهيمنة الثقافة الفرعية (الريفية) على مناطقهم جراء انتشار المناطق العشوائية بالقرب منها. وقد توصلت الدراسة إلى أنه اتضح من البحث الميداني أن سكان المناطق الحضرية قد انكمشوا أو ابتعدوا عن التفاعل مع سكان العشوائيات بسبب الخوف منهم من جهة، وبسبب البعد الطبقي من جهة أخرى. كما اتضح أن هناك عدم تقبل للحضريين للتعامل مع سكان العشوائيات، بسبب المشكلات التي يثيرها هؤلاء السكان، ولاسيما ما يتصل منها بالمشاجرات واستخدام العنف تجاه بعض سكان المناطق الحضرية، حيث باتت العشوائيات مصدرًا خطيرًا لانتشار بعض الظواهر السلبية كالتسول والانحرافات السلوكية.

سعت دراسة محمد سيد(٢٠١٧) إلى التعرف على الواقع الاجتماعي لبدو سيناء وأثره على الانتماء والأمن القومي من خلال دراسة ميدانية على سكان البدو بتجمعات الوديان بمدينة نويبع، باعتبارهم أفقر سكان جنوب سيناء. وتندرج الدراسة ضمن الدراسات الوصفية - التحليلية، وقد اعتمدت على أداة المقابلة المتعمقة لجمع البيانات من ٥٠ حالة من سكان الوديان بمدينة نويبع، والتي تشتمل على ثمانية عشر واديًا يقطنها ما يقرب من ٢٢٠ أسرة، منهم ١٥٠ أسرة من قبيلة المزينة و٧٠ أسرة من قبيلة الترابين.وقد توصلت الدراسة إلى أن التهميش التاريخي الذي عانى منه بدو سيناء، خاصة سكان التجمعات البدوية، حيث لا تتوافر لهم أي بنية أساسية أو مؤسسية، والنشاط الاقتصادي محاصر خاصة بعد ضرب السياحة. كل هذا يؤدي إلى ضعف الانتماء لدى المواطن، مما يجعله يبحث عن بديل للإشباع الاجتماعي، وغالبًا ما يجد الاحتواء من قبل قوى معادية للدولة المصرية، سواء كانت إسرائيل أو الجماعات الإرهابية، وهو ما يهدد الأمن القومي المصري.

التعليق على الدراسات السابقة:

بعد استعراض الدراسات المتعلقة بموضوع الدراسة، تم استخلاص النقاط الرئيسية التالية:

- **الأداة التعليمية**: تبرز الدراسات أن الأفلام الوثائقية ليست مجرد أداة للتوثيق بل هي وسيلة تعليمية فعالة. يمكن استخدامها في الفصول الدراسية وورش العمل لتعليم الطلاب حول الممارسات الثقافية المختلفة، مما يوسع آفاق المعرفة.

- **تأثير الوثائقيات على الوعي العام:** تشير الدراسات إلى قدرة الوثائقيات على تحسين الصور النمطية وتغيير الانطباعات السلبية عن المجتمعات، مما يعزز أهمية استخدامها في العمل الاجتماعي والثقافي لتعزيز التفاهم بين الثقافات ورفع الوعي بالهوية الثقافية.
- **الفجوات في التمثيل:** يجب أن يكون الباحثون حذرين من الفجوات في التمثيل، حيث تشير بعض الدراسات إلى أن الوثائقيات قد تركز على جوانب معينة من الهوية الثقافية على حساب جوانب أخرى. لذا يجب تحقيق توازن أكبر في تمثيل الثقافات.
- **استخدام أساليب بحثية متنوعة:** تعتمد الدراسات على مجموعة من المنهجيات والأدوات البحثية، مثل المسح الإعلامي، والتحليل الكمي والنوعي، بالإضافة إلى الاستبيانات. وهذا يعزز مصداقية النتائج ويسهم في تقديم فهم أعمق للتوجهات والسلوكيات الإعلامية.
- **التحديات الاجتماعية والاقتصادية:** من المهم توسيع نطاق البحوث ليشمل التأثيرات الاقتصادية والاجتماعية على الجماعات الفرعية، مثل الفقر والتهجير وتغيرات المناخ، حيث تؤثر هذه العوامل بشكل كبير على استدامة الثقافة والهوية.

حدود الاستفادة من الدراسات السابقة:

١. **التعرف على التحديات التي تواجه هذه الجماعات**: يتيح ربط الواقع الفعلي لهذه الجماعات بما يتم طرحه في الوثائقيات، وتحليل الفجوات بين التمثيل الإعلامي والحقيقة الاجتماعية.
٢. **فهم أعمق لآلية صياغة الصور النمطية عن الجماعات الفرعية**:يساهم هذا الفهم في تطوير رؤى بالتعاون مع المعنيين لتحسين جودة تمثيل هذه الجماعات في الوثائقيات، من خلال تحليل العوامل التي تسهم في تكريس الصور النمطية. هذا يمكن أن يساعد في تقديم تمثيل أكثر دقة يعكس التنوع الحقيقي داخل هذه الجماعات.

خامسًا : الإجراءات المنهجية للدراسة:

مجتمع الدراسة الكيفية:

يتكون هذا المجتمع من المتخصصين في الإنتاج الوثائقي، إضافة إلى المختصين في الأنثروبولوجيا المرئية.

نوع العينة:

تم إجراء المقابلات المتعمقة مع **عينة عمدية** ،حيث تتكون العينة من **١٦ خبيرًا** موزعين على النحو التالي:

- ٩ مختصين في الإنتاج الوثائقي (مخرجون، معدون، مصورون).
- ٧ مختصين في الأنثروبولوجيا المرئية، بينهم أكاديميون وصناع محتوى أنثروبولوجي.

إعداد المقابلات :

لتحقيق أهداف الدراسة، تم **إعداد دليل إرشادي للمقابلات** يتضمن مجموعة من المحاور التي تستهدف جمع بيانات معمقة تتعلق بالموضوع البحثي. وقد تم إجراء المقابلات باستخدام تقنيات متنوعة مثل **اللقاءات وجهًا لوجه، وبرامج الاتصال عبر الإنترنت مثل*Zoom*** ، **وكذلك المكالمات الهاتفية.** وقد تم الحصول على موافقة المشاركين في العينة قبل إجراء المقابلات، على تسجيل المحادثات وتفريغها لتحليلها واستخلاص النتائج العلمية.

جدول (١)
تفاصيل المقابلات مع المعنيين
(مرتبة أبجديًا وفقًا لأسماء المعنيين)

م	الاسم	التخصص	مكان المقابلة	تاريخ المقابلة
١	أحمد عبد العليم قاسم	مخرج وكاتب أفلام وثائقية ومدير عام السياحة والمنوعات بقناة النيل الدولية	عبر الهاتف	١-٩-٢٠٢٤
٢	إبراهيم السيد	مخرج وكاتب سيناريو أفلام وثائقية، عمل بعدة قنوات منها القناة الوثائقية المصرية وقطاع الإنتاج بالتليفزيون المصري.	عبر الهاتف	٢٠-٨-٢٠٢٤
٣	بلال مؤمن	باحث ومعد أفلام وثائقية.	كافيه خان شاهين، حدائق الأهرام، الجيزة	١٣-٨-٢٠٢٤
٤	بيشوي عاطف	مدير تصوير بقناة الوثائقية المصرية.	عبر الهاتف	١٥-٢-٢٠٢٣
٥	حنان راضي	صانعة أفلام وثائقية.	عبر الهاتف	٢٧-٧-٢٠٢٤
٦	حورية مصطفى	مدرس الأنثروبولوجيا الثقافية، كلية الدراسات الإفريقية – جامعة القاهرة	كلية الدراسات الإفريقية العليا، جامعة القاهرة	١-١٠-٢٠٢٤
٧	خالد النساج	مخرج بقناة الوثائقية المصرية.	كافيه خان شاهين، حدائق الأهرام، الجيزة	٢٧-٧-٢٠٢٤
٨	خلدون بشارة	أستاذ مساعد بقسم العلوم الاجتماعية ، جامعة بيرزيت، رام الله، فلسطين، حاصل على الدكتوراة في الأنثروبولوجيا من جامعة كاليفورنيا – الولايات المتحدة الأمريكية.	عبر زوم	١٤-١٠-٢٠٢٤
٩	عبدالوهاب جوده الحايس	أستاذ ورئيس قسم علم الاجتماع السابق بجامعة عين شمس.	بكلية الإعلام، جامعة القاهرة	٤-٨-٢٠٢٤
١٠	علي شعبان سطوحي	صحفي وصانع أفلام وثائقية مستقل، عمل بعدة قنوات منها .BBC	عبر زوم	٢٧-١٢-٢٠٢٢
١١	علياء الحسيني	أستاذ الأنثروبولوجيا المساعد، كلية الدراسات الإفريقية العليا، جامعة القاهرة.	كلية الدراسات الإفريقية العليا، جامعة القاهرة	١-١٠-٢٠٢٤
١٢	فرح وائل	باحثة في الأنثروبولوجيا بجامعة كينت بإنجلترا، صاحبة قناة "أنثروبولوجي بالعربي" على اليوتيوب.	عبر زوم	١-١٠-٢٠٢٣

م	الاسم	التخصص	مكان المقابلة	تاريخ المقابلة
١٣	محمد عبد الراضي محمود	أستاذ الأنثروبولوجيا المساعد والقائم بأعمال رئيس قسم الأنثروبولوجيا – كلية الدراسات الإفريقية – جامعة القاهرة	كلية الدراسات الإفريقية العليا، جامعة القاهرة	١-١٠-٢٠٢٤
١٤	مراد أحمد	مخرج أفلام وثائقية.	عبر الهاتف	٣١-١٢-٢٠٢٢
١٥	مي عامر	حاصلة على دكتوراه في الدراسات الثقافية بجامعة عين شمس، ومحاضرة في الأنثروبولوجيا الثقافية.	النادي السويسري، الكيت كات، القاهرة	٦-٨-٢٠٢٤
١٦	هالة جلال	مخرجة ورئيس مهرجان الإسماعيلية الدولي للأفلام التسجيلية والقصيرة ٢٠٢٤.	دار الأوبرا المصرية، سينما الهناجر.	٢٩-٨-٢٠٢٤

المنهج المستخدم:

- **منهج البحث الكيفي:** يهدف هذا المنهج إلى استكشاف تجارب المختصيين وآرائهم حول كيفية تمثيل الجماعات الفرعية في الوثائقيات، مما يوفر بيانات نوعية غنية، كما يهتم البحث الكيفي بتقديم تفسيرات للظواهر الاجتماعية، مما يعني أنه يسعى للإجابة عن أسئلة حول أسباب سلوك الأفراد وكيف تتشكل آراءهم ومواقفهم. كما يسعى لفهم كيف ولماذا تطورت الثقافات بالطريقة التي هي عليها. يُستخدم البحث الكيفي غالبًا في العلوم الاجتماعية (مثل علم النفس وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا) لدراسة السلوك الإنساني والاجتماعي .(Degu & Yigzaw, 2006, pp 2-3) وغالبًا ما تتضمن أهداف الباحثين في البحوث الكيفية تقديم أوصاف دقيقة ومفصلة بدلاً من القياس الكمي، حيث يركز الباحثون على دراسة الأفراد والأحداث في بيئاتهم الطبيعية، مع اهتمام أكبر بتقديم وصف شامل للظواهر قيد الدراسة، بما في ذلك السياق الاجتماعي والثقافي الأوسع.(Mackey & Gass, 2016, p 164)

أداة جمع البيانات:

المقابلات المقننة: أُجرت الباحثة مقابلات مع مجموعة مختارة من المتخصصين في مجالات الأنثروبولوجيا والإنتاج الوثائقي. تم تصميم هذه المقابلات لتشمل أسئلة محددة مسبقًا، مما يتيح جمع بيانات متسقة وقابلة للمقارنة. تهدف المقابلات إلى جمع رؤى نوعية حول الممارسات الثقافية للجماعات الفرعية والعمليات الإنتاجية في الوثائقيات ، مما يعزز موثوقية النتائج ويسمح بفهم أعمق للممارسات الثقافية المعروضة في الوثائقيات.

الصدق والثبات:

لضمان الصدق والثبات في هذه الدراسة، تم ***تحقيق الصدق من خلال المحكمين*** :

تم إعداد دليل المقابلة بحيث تشمل جميع المحاور والجوانب المطلوبة للدراسة . بعد الانتهاء من إعداد الاستمارة تم عرضها على مجموعة من المحكمين*، لتقييم مدى ملاءمة الأداة ودقتها في قياس عناصر الدراسة، تم إجراء التعديلات اللازمة استنادًا إلى ملاحظات وآراء المحكمين، مما يعزز الصدق الظاهري لهذه الأدوات.

التعريفات الإجرائية لمفاهيم الدراسة:

الإنتاج الوثائقي: الأفلام أو البرامج أو المواد الوثائقية التي تسجل وتعرض الأحداث والموضوعات الواقعية، بهدف تقديم معلومات وتحليل حول الجماعات الفرعية.

الأنثروبولوجيا: هي دراسة الثقافات والسلوكيات الإنسانية من خلال تحليل تجارب المجتمعات المختلفة، بما في ذلك الجماعات الفرعية. تركز الدراسة الحالية على الأنثروبولوجيا المرئية، وهي فرع من فروع الأنثروبولوجيا يهتم باستخدام الوسائط البصرية (مثل الصور، الأفلام، والفيديو) لدراسة وتقديم الثقافات والسلوكيات البشرية. ويمكن قياسها في الدراسة من خلال جمع وجهات نظر الأنثروبولوجيين حول كيفية استخدام الوسائط البصرية في دراساتهم وتأثيرها على فهم المجتمعات المستهدفة.

الجماعات الفرعية: هي مجموعات من الأفراد يشتركون في خصائص ثقافية أو اجتماعية مميزة، مثل الدين أو العرق أو العادات، مما يميزهم عن المجتمع الأكبر. في الدراسة الحالية، تشمل الجماعات الفرعية البدو، النوبة، الأمازيغ، الصعيد، والريف .تمثل هذه الجماعات هويات ثقافية متنوعة تعكس ثراء المجتمع المصري، وتُسهم في فهم تأثير الخلفيات الثقافية المتعددة على التصورات الاجتماعية.

قضايا الجماعات الفرعية: تشير إلى الظروف الاجتماعية، الاقتصادية، والثقافية التي تعيشها مجموعات معينة داخل المجتمع، والتي تتميز بهويتها الخاصة. يتضمن ذلك فحص التحديات والفرص التي تواجه هذه الجماعات، وعلاقاتها مع الجماعة الرئيسية في المجتمع.

---

* **أسماء الأساتذة المحكمين وفقًا لترتيبهم الأبجدي داخل الدرجة العلمية:**

أ.د / أحمد عبد الجواد الشناوي، الأستاذ بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية.
أ. د. بسنت مراد فهمي، الأستاذ بقسم الإذاعة والتليفزيون بكلية الإعلام جامعة القاهرة.
أ.د/ خالد صلاح الدين حسن، الأستاذ بقسم الإذاعة والتليفزيون بكلية الإعلام جامعة القاهرة.
أ.د / زين العابدين محمد علي، أستاذ الخدمة الاجتماعية بجامعة حلوان.
أ.د/ سلوى إمام، الأستاذ بقسم الإذاعة والتليفزيون بكلية الإعلام جامعة القاهرة.
أ.د / صابر سليمان عسران، الأستاذ بقسم الإذاعة والتليفزيون بكلية الإعلام جامعة القاهرة.
أ.د / عادل فهمي البيومي، الأستاذ بقسم الإذاعة والتليفزيون بكلية الإعلام جامعة القاهرة.
أ.د/ نشوة سليمان عقل، الأستاذ بقسم الإذاعة والتليفزيون بكلية الإعلام جامعة القاهرة.
أ.د/ وسام نصر، الأستاذ بقسم الإذاعة والتليفزيون بكلية الإعلام جامعة القاهرة.
د. منة الله حسين مأمون، المدرس بقسم الإذاعة والتليفزيون بكلية الإعلام جامعة القاهرة

المعنيون: هم الأفراد أو المجموعات الذين يمتلكون اهتمامًا أو ارتباطًا مباشرًا بمحتوى أو موضوع معين، يشمل ذلك صناع الأفلام (مخرجين ، معدين، مصورين) ، الأكاديميين، والباحثين الأنثروبولوجيين.

ثالثًا: نتائج المقابلات المتعمقة:

توصلت المقابلات المتعمقة إلى العديد من النتائج التي يمكن تقسيمها إلى عدة محاور، وفقًا لما ورد في الدليل الإرشادي الذي أعدته الباحثة لتلك المقابلات، وذلك كما يلي:

المحور الأول: المواد الوثائقية وواقع الجماعات الفرعية في مصر.

أولًا : تمثيل الجماعات الفرعية في وثائقيات الانثروبولوجيا

جدول (٢)

نقاط الاتفاق والاختلاف بين آراء المعنيين حول تمثل الجماعات الفرعية في الإنتاج الوثائقي

الفئة	المحور	التفاصيل
الاتفاق	ضرورة العمق في العرض	اتفق معظم المشاركين على أهمية معالجة قضايا الجماعات الفرعية بشكل عميق، وليس بشكل سطحي أو نمطي.
	التهميش	معظم المشاركين يشعرون أن الجماعات الفرعية تُعاني من التهميش في الإعلام.
	تقديم تجارب حقيقية	أكد المشاركون على أهمية تسليط الضوء على التجارب الحقيقية والمعاناة اليومية للجماعات، بدلاً من التركيز فقط على الفلكلور والعادات والتقاليد.
	قلة الإنتاج	هناك توافق عام حول نقص المواد الوثائقية التي تتناول قضايا الجماعات الفرعية بشكل كافٍ، مما يساهم في تعزيز الفهم الخاطئ عنها.
الاختلاف	زاوية التركيز	بينما اتفقت الأغلبية على أهمية العمق، كان هناك اختلاف في الزوايا التي يجب التركيز عليها؛ فبعضهم يرى ضرورة التركيز على قضايا اجتماعية واقتصادية مثل التعليم والتمكين للجماعات الفرعية ، بينما آخرون يعتبرون التركيز على التاريخ والثقافة أمرًا مهمًا.
	طرق التصوير	هناك اختلاف في كيفية تصوير الحياة اليومية للجماعات الفرعية؛ فبعض المشاركين يرون أهمية إبراز التفاصيل الدقيقة والتجارب الشخصية، بينما يفضل آخرون تقديم نظرة شاملة تتناول مختلف الجوانب.
	تأثيرالتوجهات الإعلامية	تباينت الآراء حول مدى تأثير التوجهات الإعلامية الحالية على تصوير الجماعات؛ حيث رأى البعض أن هذه التوجهات تعزز الفلكلورية، بينما اعتبر آخرون أنها قد تسهم في إبراز التحديات الحقيقية التي تواجهها تلك الجماعات.

وفيما يلي تفصيل لتمثيل الجماعات الفرعية في وثائقيات الأنثروبولوجيا:

- **النمطية والسطحية في عرض القصص والقضايا**

يؤكد **أ. بلال مؤمن "** عادةً ما يتم النظر إلى الجماعات الفرعية ليس من باب الاهتمام بمشاكل تلك الجماعات، وإنما من باب نقل صورة من الهامش غير المرئي إلى المجتمع المركزي ، نتخيل أن هناك أشخاصاً يعيشون في أماكن معينة بمواصفات محددة، بهدف تقديم مادة جديدة ومسلية للمشاهد". بينما يرى **أ. علي سطوحي** أن " إحدى المشكلات الرئيسية تتمثل في النمطية التي يتم بها عرض القصص والقضايا. يتم التركيز بشكل كبير على الفلكلور والعادات والتقاليد، بينما يتم تجاهل قصص وواقع الجماعات الفرعية وذلك نتيجة الاستسهال أو عدم الإلمام الكافي بالثقافة الخاصة بهم "على سبيل المثال، في سيوة،

يمكن أن نجد أن الثقافة تُختصر في الملابس التقليدية والأطعمة، بينما في الواقع، يرتدي الناس الملابس العادية، وأصبح إعداد الأطعمة التقليدية أقل شيوعًا. ويرى **سطوحي** أيضًا أن **الإنتاج الموجه بالعربية يركز على القضايا والموضوعات بعمق أكبر من الإنتاج المصري.** كمثال، يعرض تلفزيون BBC موضوعات متعلقة بالزواج والطلاق في سيوة، وعمل المرأة، وهي قضايا حساسة وذات أهمية كبيرة. ويعبر **سطوحي** عن أمنيته في أن تهتم المؤسسات المصرية بهذه الموضوعات وتتناولها بجدية، بدلاً من التركيز فقط على الموضوعات التقليدية.

ويتطرق **أ. خالد النساج** إلى أن "المثير في هذا الأمر دائمًا نقول إننا سننقل الفلكلور دون التركيز على السلبيات، وهذا يخضع لعاملين أساسيين: **الأول هو السياسة التحريرية للقناة التي تحدد المواضيع المسموح بتناولها، والثاني يتعلق بالجماعة التي يتم تغطيتها وسعيها لعدم كشف الحقيقة من خلال الانغلاق على نفسها وتصدير الصورة الإيجابية.**" ويضيف **النساج** أنه "نادراً ما تجد موضوعات تتناول مناقشة مشكلة محددة بعينها." في الإنتاج الوثائقي، غالبًا ما نجد حالة من الانبهار بالصورة، حيث عندما يزور المخرج مكانًا ما ويشاهد الفلكلور المحلي، ينجذب إليه وينغمس فيه. هذا الانبهار يؤدي إلى أزمة تتمثل في الانسحاب نحو الجانب الإيجابي وتجاهل الجوانب السلبية.

بينما يرى **أ. إبراهيم السيد** أن التركيز على الفلكلور والتراث يُعتبر عنصرًا مهمًا وجاذبًا للأفلام الوثائقية، لأنه يضيف لمسة من التنوع والتشويق. الأغاني والموسيقى والمواضيع الثقافية يمكن أن تكون مغرية للجمهور، لأنها تقدم صورة زاهية وجاذبة. هذا لا يعني أنه لا يمكن تناول القضايا المهمة مثل التهجير، ولكن طريقة تقديمها يجب أن تكون مدروسة بدقة.

- **الشعور بالتهميش والانفصال لدى الجماعات الفرعية**

يشير **أ. مراد أحمد** إلى أن الجماعات الفرعية دائمًا ما تشعر بالتهميش، حيث تسيطر عليهم فكرة **"لماذا تنظرون إلينا بهذه الطريقة؟ أنا لست غريبًا كما تعتقدون."** ينبع هذا الشعور من تعامل المجتمع معهم وكأنهم مختلفون أو غير مندمجين بشكل كافٍ في المجتمع الأكبر، ويؤكد **مراد** أن هذه الجماعات تشعر بأنها بعيدة قليلاً عن النسيج الوطني، حيث يزداد هذا الشعور كلما ابتعدت المسافة عن القاهرة. على سبيل المثال، سكان المنوفية أو بني سويف لديهم إمكانية الوصول بسهولة إلى القاهرة، مما يعزز الانغماس والانخراط في النسيج الوطني. لكن في الأماكن البعيدة مثل النوبة أو حلايب وشلاتين، يكون الشعور بالعزلة أكبر نتيجة لقلة الإنتاج الوثائقي الذي يتحدث عن هذه الجماعات .

يشير أ. علي سطوحي إلى "نحن نشعر بأننا في جزر منعزلة بسبب قلة الإنتاج الوثائقي المخصص للجماعات الفرعية مثل الأرمن، الأمازيغ، النوبيين، والبيجا." ويؤكد أنه حتى عندما يتم تناول هذه الجماعات في الأعمال الوثائقية، غالبًا ما يكون العرض سطحيًا وسياحيًا، دون التركيز على القضايا الحقيقية التي تشغلهم.

- **أنواع الأفلام الوثائقية في طرق تناول قضايا الجماعات الفرعية**

تشير **أ. حنان راضي** إلى ضرورة التفريق بين نوعين من الأفلام الوثائقية التي تتناول الجماعات الفرعية: **النوع الأول هو الأفلام التي تطرح قضايا وتناقشها، بينما النوع الثاني هو الأفلام التي ترصد حياة الناس وتوثقها بشكل مباشر.** تتناول المخرجة **عطيات الأبنودي**، كمثال على النوع الأول، حيث تخصصت في توثيق حياة المهمشين في مصر. قدمت في أفلامها توثيقًا لعدد كبير من أطراف مصر تقريبًا، ومن أشهر أفلامها فيلم **"قطار النوبة"**، الذي يرصد الطقس السنوي الذي يعيشه النوبيون عند ركوبهم القطار في فترة العيد. كما لديها فيلم **"إيقاع الحياة"**، الذي يركز على الفنون الشعبية، حيث يُعرض هذا الجانب الفني في عدة أماكن مختلفة في مصر، مما يبرز التنوع في العادات والتقاليد والفنون بين الجماعات المصرية المختلفة. على الجانب الآخر، هناك أفلام أخرى تبدو وكأنها توثق تفاصيل يومية، لكنها تحمل مضامين اجتماعية وثقافية عميقة. مثال على ذلك هو **فيلم "فاطمة"**، الذي تم تصويره في منطقة ريفية على أطراف القاهرة، تحديدًا في شبرامنت. يتناول الفيلم قضية تعليم الفتاة والسلطة الأبوية في المجتمع الريفي، بالإضافة إلى قضية عمل الأطفال.

- **غياب العمق الشخصي في تصوير الجماعات الفرعية بالأفلام الوثائقية**

تقول **أ. هالة جلال** فيما يتعلق بالجماعات الفرعية مثل النوبة إن أغلب الأفلام تركز على قضية التهجير وكأن الزمن توقف هناك. فلا أحد يعلم كيف عاشوا بعد ذلك أو أين ذهبوا، وكأنهم غير موجودين إلا كقوم تم تهجيرهم. تعتبر هذه المسألة نقصًا في سرد قصصهم، وهي بالطبع مسألة مهمة جدًا بالنسبة لهم. ولكن، يبدو أننا اختصرنا حياة البشر في قضية واحدة فقط.هناك العديد من الأفلام التي تم إنتاجها عن النوبة، مثل أفلام أحمد عوض وحسن عيسى، وهذه الإنتاجات تمثل الدولة من المركز القومي للسينما . كما توجد أيضًا إنتاجات خاصة قام بها المخرجون بأنفسهم، لكن جميعها تلتف حول نفس النقطة . **لا أحد يتحدث عن النساء النوبيات، أو الأطفال النوبين، أو التعليم، أو الأحلام حتى.** ترى **هالة** أن هذا يعتبر نقصًا، على الرغم من أهمية القضية. تُشير أن **" علي الغزولي"** مثلاً قدّم فيلم "صيد العصاري" عن الصيادين، حيث يظهر الصيادين بكل الود والرحمة واللطافة. وهناك أيضًا **"عطيات الأبنودي"** التي تحدثت عن المهمشين في مصر. هؤلاء المخرجون يهتمون بأنماط المعيشة أو بالأفراد. ومع ذلك، تعتقد هالة أننا ما زلنا بحاجة إلى أفلام تبرز الإنسان كفرد مستقل، وليس فقط كعضو في مجموعة.

ثانيًا: ملامح الصورة التي تعكسها وثائقيات الأنثروبولوجيا عن الجماعات الفرعية

جدول (٣)

آراء المعنيين حول ملامح صورة الجماعات الفرعية في مصر

ملامح الصورة العامة	الوصف	أمثلة
تشويه السمعة	تعتمد الوثائقيات أحيانًا على الصور السلبية، مما يؤدي إلى تشويه سمعة الجماعات الفرعية.	تصوير أهل سيناء كتجار مخدرات دون تسليط الضوء على حياتهم الحقيقة كما أشار علي سطوحي.
تعزيز الصور النمطية	في بعض الأحيان، تساهم الوثائقيات في تعزيز الصور النمطية الإيجابية والسلبية، مما يحد من الفهم الشامل لهذه المجتمعات.	▪ تصوير أهل الصعيد كجماعة تمتاز بالنزعة القبلية، كما أشار بيشوي. ▪ التركيز على الصور النمطية للأمازيغ كجماعة مختلفة ثقافيًا بينما هم في الواقع يشتركون في العديد من التحديات اليومية للمجتمع المصري. ▪ تغطية العادات والتقاليد في سيوة والنوبة مع تجاهل قضايا مثل التعليم والصحة.
فجوة بين الواقع والتمثيل	توجد فجوة واضحة بين الحياة الفعلية للجماعات والتمثيل الإعلامي، حيث تفتقر الوثائقيات إلى تصوير الواقع بدقة. غالبًا ما تغفل الوثائقيات التحديات اليومية التي تواجه هذه المجتمعات، مما يؤدي إلى تقديم صورة غير مكتملة عن حياتهم.	عدم تسليط الضوء على استخدام التكنولوجيا الحديثة من قبل سكان النوبة والبدو، كما ذكر أحمد عبدالعليم.

نناقش ملامح وسمات هذه الصورة والعوامل المؤثرة فيها من خلال النقاط التالية:

- **تشويه الصورة بسبب نقص الاحتكاك المباشر**

يشير **أ. علي سطوحي** إلى أن الصورة السائدة عن أهل سيناء تُعززها التغطية الإعلامية التي لا تعكس الواقع، حيث تُصوّرهم كتجار مخدرات. وتؤكد على أهمية تقديم أعمال وثائقية تعكس الحقيقة، قائلا " أتذكر بعد ثورة ٢٠١١م، عندما زرت سيناء، **كانت الصورة السائدة عن أهل سيناء أنهم تجار مخدرات،** وذلك بسبب التغطية الإعلامية التي لم تكن واقعية. حتى الآن، لم يُنتج عن البدو في سيناء عمل وثائقي يعكس واقعهم بشكل صحيح. أعتقد أن عدم تناولنا لهم يسهم في ترسيخ الصور النمطية عنهم. على سبيل المثال، في فيلم الأمازيغ الذي عملت عليه، **لم أحاول تصوير الأمازيغ كأنهم مختلفون عنا بشكل كبير. بالعكس، حاولت أن أوضح أن الأمازيغ يشبهون الناس في القاهرة من حيث الظروف الحياتية والصعوبات** .

وفي السياق ذاته، يوضح **أ. بلال مؤمن** أن **"عندما يتم الحديث عن الصعيد، يتم التركيز على الصقر، وعندما يُذكر البدو، يُشار إلى التسرب من التعليم".** سواء كان الحديث عن مجتمع الصعيد في الجنوب أو البدو في الأطراف، فإن هذه المجتمعات تتمتع بثقافتها وهويتها الخاصة. ومهما كانت المحاولات لتقديم نمط حياة متمدن أو متقدم لهم، يظل جزءاً من هويتهم مرتبطاً بالحفاظ على تراثهم الثقافي. وبالتالي، فإن العمل الإيجابي هو الذي يساعد جماعات الهامش على الحفاظ على هويتهم وتراثهم الثقافي.

ومن ناحية أخرى، يشير **أ. بيشوي عاطف** إلى أن "أهل الصعيد يتميزون بالنزعة القبلية وحب العائلة، وهو نتيجة للعرق القبلي الأصلي الذي جاء من شبه الجزيرة العربية". وبالتالي، مع مرور الوقت، تطور أهل الصعيد بحيث أصبحت بعض الأماكن في الصعيد أكثر انفتاحًا وتطورًا، خاصة في المدن مثل أسيوط وسوهاج والمنيا.

وفي هذا الإطار، تبرز **أ. هالة جلال** أن "الصور النمطية هي سلاح فتاك ومؤسف على كل البشر، حتى عندما تكون إيجابية." ومن هنا، تشير إلى أنه "فرق كبير بين أن تقول هذه القبيلة كلها نظيفة أو هذه القبيلة كلها كريمة وبين أن تقول هذه القبيلة كلها بخيلة أو هذه القبيلة كلها لئيمة". لأنك هنا تزيل عنهم صفة الإنسانية. لذا، يجب أن تركز السينما الوثائقية والتسجيلية على الإنسان، يجب أن تكون عن الناس، وليس عن الأفكار المجردة أو الأيديولوجيات السياسية الكبرى.

يشير **أ. إبراهيم السيد** أن "لكسر هذه الصورة النمطية، نحتاج إلى وقت أطول وعمق أكبر في التعامل مع الواقع بطريقة مختلفة عما نفعله حاليًا. على سبيل المثال النوبة تتكون من عدة مناطق ولغات ولهجات مختلفة، وسيوة مجتمع صغير ومغلق نسبيًا. التقديم الإعلامي لهذه المجتمعات يتطلب توخي الحذر لتجنب تقديم صورة غير مكتملة".

وأخيرًا، يوضح **أ. خالد النساج** أن "نحن لا ننقل الواقع بنسبة ١٠٠%، بل نقوم بتجميل الواقع قليلاً. نحن نعتمد على **"السينما النظيفة" لإظهار الأمور بشكل أكثر إيجابية**، حيث نمرر المشاكل بطريقة مفهومة دون الوقوف عليها بشكل فج. لم نتمكن من نقل الواقع بالشكل الذي يليق بتلك الجماعات أو وضع الأمور في نصابها بشكل دقيق، مما يجعل من الصعب على المعنيين الحكم على قضاياهم بشكل صحيح".

- **تأثير الجهة المنتجة على الصورة المقدمة**

يؤكد **أ. مراد أحمد** أن "جودة الصورة التي تُقدّم عن الجماعات الفرعية تتوقف على الجهة المنتجة". ولذلك، عندما نتناول موضوعًا مثل النوبة، غالبًا ما تحاول الجهات المنتجة تصوير النوبة بطريقة مثالية، مما قد يؤدي إلى تقديم صورة غير متكاملة. وفي هذا السياق، يضيف **"أحيانًا يتم إدماج صور نمطية معينة لأن هذه هي الصور المتوفرة لدى المخرج، مثل تصوير النوبة عبر شخص أسمر يرتدي الجلابية ويعلق علم مصر على مركبه."** وبهذا، يمكن أن تؤدي هذه الصور النمطية إلى الملل والإطالة في الفيلم، وذلك ليس لأن هناك رغبة في تزييف الواقع، ولكن بسبب الفكر النمطي السائد.

من جهته، يوضح أ. **أحمد عبدالعليم** أن "هؤلاء الناس يعيشون حياتهم بشكل طبيعي، ولديهم أجهزة موبايل وتابلت، وأطفالهم يعرفون كيفية استخدام الإنترنت بشكل عادي جدًا. وعليه، يعود السبب في هذه الصور النمطية إلى عدم دراسة الواقع بشكل كافٍ. من المفترض أنه عندما أذهب للقيام بعمل وثائقي، أبدأ بالبحث عبر الإنترنت أولًا، وأختار التوقيت المناسب للزيارة، وأنتقي أشخاصًا يمثلون الجماعة بشكل جيد، وأتعرف على المكان بشكل عميق. حينها، عندما أذهب للمعاينة، أتمكن من القيام بمعاينة صحيحة تتضمن معايشة حقيقية. لكن هذا لا يحدث كثيرًا بسبب التكاليف، حيث أن بعض الجهات لا تقوم بهذه الخطوات".

المحور الثاني: التحديات التي تواجه صناع المواد الوثائقية

جدول (٤)
التحديات التي تواجه صناع المواد الوثائقية

المستوى	التحدي	الوصف
البيئة المهنية	الظروف الجوية الصعبة	تؤثر الظروف القاسية، مثل الأمطار الغزيرة أو الحرارة المرتفعة، على عملية الإنتاج، مما يقلل من عدد الأشخاص القادرين على تحمل هذه الظروف الصعبة مثل الشتاء أو الصحراء.
	المواقع النائية	يصعب الوصول إلى المناطق البعيدة التي تعيش فيها المجتمعات الفرعية، مثل المجتمعات البدوية ، مما يعيق العمل الميداني.
الموارد	نقص التمويل	عدم توفر الموارد المالية اللازمة لدعم الإنتاج الجيد للأفلام الوثائقية، مما يستدعي الحاجة إلى دعم مستمر وفعّال لإنجاز المشاريع الوثائقية.
الثقافة والمجتمع	فهم الثقافة المحلية	الحاجة إلى فهم عميق للتقاليد والعادات المحلية لتقديم محتوى دقيق وغير مضلل.
	الافتقار إلى التعاون	قلة التواصل بين صناع الأفلام والمجتمعات المحلية، مما يجعل من الصعب إقامة علاقات مع المجتمعات التي تعيش في بيئات مختلفة.
التسويق	صعوبة الوصول للجمهور	تحديات في توزيع الأفلام الوثائقية والوصول إلى جمهور أوسع بسبب نقص الاستراتيجيات الفعالة، مثل قلة المساحة المخصصة للأفلام الوثائقية على القنوات.
	تفضيلات السوق	تفضيل الأفلام الروائية عن الوثائقية ، مما يؤثر على انتشار تلك الأفلام.
الإدارة والتصاريح	التعقيدات الإدارية والإجراءات البيروقراطية	الحاجة إلى تصاريح وموافقات معقدة قد تؤخر سير العمل، مثل الحاجة إلى موافقات رسمية قبل البدء في التصوير. الروتين الإداري الطويل قد يؤثر سلباً على توقيت المشروع وجودته، مما يسبب التحديات المتعلقة بالتعاون مع الجهات الحكومية للحصول على التصاريح.

ولمناقشة هذه التحديات يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

- **عدم وجود بيئة ملائمة لإنتاج المواد الوثائقية**

أشار **أ. علي سطوحي** إلى مشكلة كبيرة تتمثل في قلة الإنتاج وعدم وجود بيئة ملائمة للأفلام الوثائقية، حيث يتعرض صانع الفيلم إلى عبء كبير إذا كان يتحمل مسؤولية إنتاج الفيلم بالكامل بمفرده، بما في ذلك الإعداد والتصوير والمونتاج، مؤكدًا أنه **"يوجد نقص في الأشخاص المتخصصين في مرحلة ما قبل الإنتاج من إعداد وبحث، وأيضاً في مراحل الإنتاج وما بعد الإنتاج مثل المونتاج".**هذا النقص في التخصصات يؤدي إلى أن صانع الفيلم ينفق جميع أمواله على الفيلم دون الحصول على الدعم الكافي، مما يزيد من الضغط عليه. "البيئة التي تدعم الأفلام الوثائقية، والتي تشمل مخرجين ومنتجين وموزعين، غير موجودة".

- **تحديات الوقت والتكاليف في الإنتاج الوثائقي**

أكد **أ. بيشوي عاطف** أن "من أهم المشاكل التي تواجه الإنتاج الوثائقي هي الوقت." حيث أضاف أن **"أحياناً تحتاج لوقت طويل، وهذا الوقت يترجم إلى مصاريف إنتاجية."** وأوضح أن **"المصاريف الإنتاجية في الأفلام الوثائقية قد تكون دون جدوى تجارية؛** في النهاية، أنت أمام فيلم ليس تجارياً أو صناعة تحقق ربحاً، بل مادة وثائقية تعليمية تهدف إلى الحفاظ على التراث الخاص ببلد ما أو مكان معين ونقله للأجيال القادمة." لذلك، قد تحتاج إلى "مساحة

ووقت أكبر في التصوير والإنتاج لنقل الحدث بشكل كامل." ومع ذلك، بسبب هذه الظروف الإنتاجية، قد لا تستطيع "تحمل تكلفة المعدات والإضاءة وأفراد الفريق والإقامة". كما أوضح **أ. أحمد عبدالعليم** أنه "يتطلب الموضوع تكاليف سفر ليست بالقليلة." إذ نحتاج "للسفر هناك مرة في البداية ليومين أو ثلاثة من أجل المعاينة، ثم نقضي خمسة أو ستة أيام على الأقل في التصوير." وأكد أن "المسافة الطويلة للسفر تضيف يومًا للذهاب وآخر للإياب، مما يجعل الحد الأدنى للوقت المستغرق في التصوير خمسة أيام."

- **صعوبة الحصول على التصاريح في الإنتاج الوثائقي**

أشار **أ. إبراهيم السيد** إلى أن "التعامل مع التصاريح، يكون صعبًا جدًا وهذه مشكلة شائعة يتحدث عنها الجميع." وأوضح أن "عملية الحصول على التصاريح للتصوير تتطلب وقتًا وتواجه مشاكل عديدة." كما أن " **العمل مع قنوات خاصة قد يكون أكثر صعوبة في الحصول على التصاريح مقارنةً بالعمل مع قنوات حكومية.**" بالإضافة إلى ذلك، فإن "التصوير في المناطق الريفية أو الحدودية يتطلب التنسيق المسبق مع الجهات المحلية، وهو ما قد يكون معقدًا وصعبًا."

ومن جهته، أضاف **أ. خالد النساج** أن "مشكلة الإنتاج والتصاريح، بالإضافة إلى ضرورة المرور على عدة جهات، تتطلب تقديم سيناريو، وهو أمر صعب في الأفلام التسجيلية." حيث أشار إلى أنه "غالبًا لا أكون متأكدًا إلى أين سيصل العمل، فلا يمكن كتابة كل التفاصيل مسبقًا في الأفلام التسجيلية." ولإعداد "نص شبه مكتوب" (semi-script)، يجب أن "أزور المكان وأجلس مع الناس، وهذا يتطلب تكلفة إنتاجية كبيرة."

- **صعوبة تصوير الأفلام الوثائقية في الأماكن النائية مثل (سيوة ،حلايب وشلاتين)**

ذكرت **أ. حنان راضي** أن " المناطق البعيدة والمجتمعات النائية مثل حميصرة، أبو رماد، والشلاتين تتطلب مجهودًا كبيرًا وتكاليف إنتاجية مرتفعة نظرًا لبعدها وصعوبة الوصول إليها، بالإضافة إلى استخراج التصاريح اللازمة لتصوير الأفلام هناك." وأوضحت أنه "كما يتطلب الأمر توفير المعدات والأشخاص لفترة طويلة في أماكن قد لا تتوفر فيها إقامة ملائمة، ما يضيف عبئًا كبيرًا على جهات الإنتاج." وفي نفس السياق، يؤكد **أ. بيشوي عاطف** أن "هناك صعوبة في الوصول إلى بعض الأماكن، مثل الأماكن الجبلية وظروف المعيشة الصعبة، والتي قد تكون موجودة في مناطق مثل سيوة. من جانبه، ذكر **أ. أحمد عبدالعليم** أن "هناك جزءًا مرتبطًا بالخطورة، خاصة في الأماكن غير المأهولة بالسكان." حيث تكون "بيئة العمل خطرة، خصوصًا إذا كان الفريق يضم فتيات و التصوير في الليل وباستخدام عربيات سفاري." وأكدت **أ. حنان راضي** أن "تصوير الأفلام في مثل هذه الأماكن البعيدة، مثل النوبة وسيناء والمناطق النائية الأخرى يجبر فرق الإنتاج على ضغط أيام التصوير لتقليل التكاليف، مما يعني العمل تحت ضغط كبير وفي ظروف صعبة، مثل العمل في درجات حرارة مرتفعة للغاية خلال فصل الصيف في مناطق مثل الصعيد أو حلايب وشلاتين." وأخيرًا، أوضح **أ. خالد النساج** أن "الوسيط أو الدليل في هذه البيئات، ينتهي دوره عند معرفة الثقافات والاتصالات، ولا علاقة له بالمحتوى المطلوب." وغالبًا ما

يكون "هو نفسه من هؤلاء الناس، لذلك قد لا يفهم تمامًا ما نحتاجه، ويقتصر دوره على تسهيل التواصل دون التأثير على جودة المحتوى."

- **تصوير السيدات داخل الجماعات الفرعية**

أشار **أ. بيشوي عاطف** إلى أن "أحيانًا يكون التحدي أيضًا من جانب الجماعة الفرعية نفسها، حيث ترفض التصوير بسبب الإحراج أو لأن عاداتهم وتقاليدهم تفرض عليهم عدم التصوير، خاصة بين السيدات." وأضاف **أ. إبراهيم السيد** أنه "عند العمل في مجتمعات مغلقة مثل سيوة أو النوبة، يصبح التعامل مع الأفراد صعبًا، خاصةً النساء." وأوضح أن "في سيوة، التعامل مع النساء يتطلب جهدًا كبيرًا نظرًا للعادات الثقافية السائدة."

- **التحديات الثقافية**

أشارت **أ. حنان راضي** إلى "يواجه صناع الأفلام النساء تحديات إضافية في بعض المجتمعات التي قد لا تتقبل فكرة وجود امرأة في موقع قيادي، مثل مواقع التصوير" ، كما أوضحت أن "هناك تحديات أخرى تتعلق بالأمان، حيث قد تضطر المرأة إلى دخول أماكن معزولة أو المشاركة في فعاليات مثل الموالد التي قد لا تكون آمنة دائمًا" ، واستشهدت بمثال تصوير "مولد سيدي عبد الرحيم القناوي في قنا"، حيث "قد يضع المخرجة في مواقف صعبة بسبب ازدحام المكان وعدم وجود إضاءة مناسبة." وذكرت أن **"التحديات الشخصية والمهنية التي تواجهها المخرجة الأنثى تضيف طبقة أخرى من التعقيد، خاصة في المجتمعات التي قد لا تؤمن بدورها أو تقبل بوجودها."** وأضافت أن "التعامل مع هذه المجتمعات قد يتطلب الكثير من التفاهم والتفاوض للوصول إلى حلول مرضية للجميع." وأشارت إلى أن "في بعض الأحيان، يرفض بعض أفراد هذه المجتمعات تصوير نسائهم، مما يعيق تقدم الفيلم ويؤثر على محتواه."

ومن جهة أخرى، تؤكد **أ. هالة جلال** اننا "نواجه مشكلة كبيرة تتعلق بالعداء الذي يظهره الناس تجاه الكاميرا في الشوارع." وذكرت أن "في بعض الأحيان، يتعامل الناس مع الكاميرا كأنها مسدس، وهذا يشكل مشكلة ثقافية تحتاج إلى معالجة." وأوضحت أن "هذه الثقافة السلبية قد تدعم الإرهاب بشكل غير مباشر، مما يجعل من الصعب قبول التصوير في الأماكن العامة." وأضافت أنه "يجب علينا أن نتخلص من هذه الثقافة التي تجعل الناس يتصرفون بعدوانية تجاه الكاميرا." وأشارت إلى مشكلة أخرى تتعلق بـ"رفض الناس للتصوير في الأماكن العامة." وأوضحت أنه "أحيانًا يتعرض الشخص الذي يحمل الكاميرا في الشارع للضرب، وهذا يعكس موقفًا عدائيًا يجب معالجته."

- **تحديات التواصل مع الجماعات الفرعية**

أوضح **أ. بلال مؤمن** أن "جماعات الهامش تتميز بالتحفظ." وأشار إلى أن "هذه الجماعات تفتقر إلى القدرة على التعاون إلا إذا شعرت بالاطمئنان." ولفت إلى أن التواصل مع هذه الجماعات يتطلب وجود **"شخص من داخل هذا المجتمع يكون قادرًا على مد جسور التواصل بين فريق العمل والمجتمع الذي يتم تصويره."** وأكد أن "كلما كان هذا الشخص ناجحًا في مهمته، كانت العملية أكثر سهولة ويسر.

من جهة أخرى، أشار أ. **خالد النساج** إلى "وجود مشاكل في بيئة العمل، حيث نتعامل مع أشخاص من بيئات وثقافات مختلفة عن القائمين بالإنتاج، مما يتطلب جهدًا إضافيًا." وأكد أن "من الضروري أن يشعر هؤلاء الأفراد بالاطمئنان حتى يكونوا مستعدين للظهور أمام الكاميرا وتقديم جهدهم."

- **تحديات توزيع الأفلام الوثائقية**

أشار أ. علي سطوحي إلى أن "مشكلة إيجاد منافذ لتوزيع الإنتاج الوثائقي هي من التحديات الكبيرة." وأوضح أنه "عندما ينتهي المخرج من تصوير الفيلم، فإن السؤال الأبرز هو أين سينشره؟" وأضاف أن "في كثير من الأحيان، تجد القنوات تعرض شراء الفيلم بأسعار منخفضة، مثل ٢٠ ألف." ومع ذلك، تطرق إلى أن "بعض القنوات الأخرى مثل الجزيرة قد تشتري الدقيقة بمبالغ كبيرة مثل ١٠٠٠ دولار، إلا أن الظروف السياسية قد تجعل من الصعب العمل مع مؤسسات مثل الجزيرة لتجنب المشاكل." وأشار أيضًا إلى أن "القنوات المحلية غالبًا ما تقوم بمعاينة سريعة وتبدأ في التصوير مباشرة، بينما القنوات الأخرى تستثمر في المعاينة والتحضير بشكل أفضل" ، أما أ. هالة جلال، فقد أكدت أن "صناعة الأفلام الوثائقية في مصر تواجه تحديات تتعلق بالتمويل والتوزيع." وأشارت إلى أن "غياب الدعم المالي الكافي يجعل المنصات مثل نيتفليكس فرصة كبيرة للإنتاج والعرض." وأكدت على ضرورة "الاستفادة من هذه الفرص لتوسيع نطاق الإنتاج الوثائقي ، والبحث عن شراكات مع منصات عالمية لتحسين الوصول إلى الجمهور".

المحور الثالث : مستقبل الإنتاج الوثائقي الأنثروبولوجي في مصر والعالم العربي

جدول (٥)

الفرص والتحديات وسبل تطويرالإنتاج الوثائقي الأنثروبولوجي

المحور	الوصف	الفرص والتحديات
التقنيات الحديثة	الاعتماد على وسائل التواصل الاجتماعي، الهواتف المحمولة، والمعدات المتطورة مثل كاميرات السينما.	**فرص:** تحسين جودة الإنتاج وزيادة الانتشار . **تحديات:** التركيز على الإبهار البصري على حساب القضايا الإنسانية.
دور المنصات الرقمية	تعزيز الإنتاج الوثائقي عبر منصات مثل "Watchit"، مع التركيز على التوزيع الجيد والإنتاج المكلف.	**فرص:** وصول أوسع للجمهور وجودة إنتاج عالية. **تحديات:** ارتفاع التكلفة واقتصارها على جمهور مشترك فقط.
البحث العلمي	إشراك باحثين مختصين في الأنثروبولوجيا، الإعلام، أو التاريخ لضمان دقة وجودة الأفلام الوثائقية.	**فرص:**رفع جودة المحتوى وتقديم رؤية عميقة . **تحديات:** نقص الموارد لدعم الأبحاث المرافقة.
التحديات التنظيمية	غياب خطة استراتيجية واضحة للإنتاج، واعتماد العمل على مجهودات فردية أو عشوائية.	**فرص:** تطوير إطار تنظيمي يدعم الإنتاج الوثائقي. **تحديات:** استمرارية الجهود دون دعم رسمي كافٍ.

المحور	الوصف	الفرص والتحديات
الالتزام بالمعايشة والواقعية	التأكيد على المعايشة والملاحظة المباشرة في تقديم قضايا الجماعات الفرعية، مع الالتزام بالواقعية.	**فرص:** تقديم صورة حقيقية وشاملة عن الجماعات الفرعية. **تحديات:** صعوبة الوصول إلى المناطق النائية. - خطر تشويه الصورة بسبب عدم الفهم الجيد لثقافة الجماعات.
اطلاق المزيد من القنوات الوثائقية المصرية	تطوير قنوات وثائقية تواكب التطور الرقمي وتلبي احتياجات الجمهور.	**فرص:** تزايد عدد المشاهدين في ظل الإعلام الرقمي. **تحديات:** تزايد الانشغال بمحتوى سريع وتفاعلي.

ولمزيد من التعمق في مستقبل وثائقيات الأنثروبولوجيا وسبل تطويرها، نقدم النقاط التالية:

- **التقنيات الحديثة: أدوات جديدة لصناعة الوثائقيات**

يعتقد **أ. علي السطوحي** أن **"وسائل التواصل الاجتماعي واستخدام الهواتف المحمولة قد زادت من إنتاج وجودة الأفلام الوثائقية بشكل ملحوظ"**. حيث أتاح هذا التقدم للأفراد الفرصة لنشر أعمالهم بأنفسهم دون الحاجة للانتظار حتى تعرض القنوات التلفزيونية أفلامهم. على سبيل المثال، هناك العديد من "اليوتيوبرز" الذين يقومون بإنشاء قصص بصرية رائعة على منصاتهم رغم أنهم ليسوا مخرجين محترفين. ويبرز **السطوحي** أيضًا أن "الهواتف المحمولة قد سهلت عملية إنتاج وتصوير الأفلام، فلم يعد من الضروري استخدام معدات معقدة للحصول على نتائج جيدة". يؤمن السطوحي بأن "الفترة القادمة ستشهد انفراجًا في مجال الإنتاج الوثائقي، وستتاح مساحات جديدة للإنتاج والتجديد."

ويشير **أ. بيشوي عاطف** إلى أن **"هناك تطورًا ملحوظًا في استخدام المعدات، حيث دخلت كاميرات السينما إلى مجال الإنتاج الوثائقي، مما أحدث تغييرًا في الصورة بشكل عام"**. هذا التطور شمل تحسينات في "طريقة الإضاءة وتطور العدسات وأساليب الإخراج والمونتاج". وبالتالي، فقد أثر ذلك بشكل إيجابي على الجانب الوثائقي وسهّل عملية الإنتاج. في السابق، كنا بحاجة إلى معدات إضاءة كثيرة للتصوير في الليل، وكانت "حساسية الكاميرات منخفضة للحصول على صورة جيدة"، ولكن ذلك لم يعد ضروريًا الآن. هذا التطور قد أدخل أشكالًا جديدة، مما يجذب المشاهدين أكثر عبر تقديم مشاهد درامية تقربهم من الموضوع.

وفي سياق دعم المنصات الرقمية للإنتاج الوثائقي ، يناقش **أ. إبراهيم السيد** تأثير "المنصات الرقمية ذات الجودة العالية مثل نتفلكس وWatchit، والتي تقدم محتوى متقن ومكلف للغاية". يعتبر أن هذه المنصات تعزز من أهمية "التوزيع الجيد والمتابعة"، حيث إن **"التكلفة العالية للإنتاج قد تكون عائقًا، لكنها تدعم الفنون الوثائقية". تجربة "أم الدنيا" على Watchit** تعتبر مثالاً جيدًا حيث قدمت "عملاً يتناول تاريخ مصر بعمق."
بينما يرى **أ. بلال مؤمن** أن **"المنصات الرقمية تفرض نمطًا معينًا من المواد الوثائقية، مما يجعل المحتوى موجهًا نحو جمهور محدود"**. فعلى الرغم من وجود محتوى عالي الجودة، فإن "هذه المنصات قد لا تكون متاحة للجميع، حيث تتطلب اشتراكات". ومن جهة أخرى،

فإن التركيز على "الإبهار البصري قد يقلل من التركيز على القضايا الإنسانية، وهو الهدف الأساسي الذي أُنشئ من أجله الفيلم الوثائقي."
وأخيرًا، يبرز **أ. خالد النساج** التأثير السلبي "للإعلام الرقمي ومواقع التواصل الاجتماعي على مدى قدرة المشاهدين على متابعة الأفلام الوثائقية". حيث توفر هذه الوسائط "محتوى سريعًا ومتعدد الأشكال، مما يقلل من الوقت المخصص لمشاهدة الأفلام الوثائقية". يعتقد النساج أن "التحديات في مواجهة التطور السريع على المنصات الرقمية كبيرة وصعبة"، لكنه يشير إلى أن "وجود قناة وثائقية مصرية يمثل طموحًا ليس وليد اللحظة". ويؤكد على أهمية أن تكون هذه القناة فاعلة في تقديم محتوى وثائقي مبتكر يلبي تطلعات الجمهور.
ترى **أ. هالة جلال** أن "علينا استغلال هذه المنصات كفرص للإنتاج والرؤية والتواصل مع العالم." كما يدعو **أ. خالد النساج** إلى ضرورة أن يتنافس القائمون في الإنتاج الوثائقي، سواء في القنوات الخاصة أو العامة، مع المنصات الرقمية ويرى أن هذه المنصات تعتمد على الملخصات البسيطة التي يفهمها الجمهور العادي، مما يجعل من الضروري أن يتكيف الإنتاج الوثائقي مع هذه الأساليب الحديثة ليبقى جذابًا وملائمًا لجمهور المنصات الرقمية.

- **أهمية البحث العلمي في إنتاج المواد الوثائقية الأنثروبولوجية**

تشدد **أ. هالة جلال** على ضرورة وجود "باحثين مختصين كجزء أساسي من عملية الإنتاج الوثائقي". تؤكد أن "البحث هو الأساس، ولا يمكن لأي شخص أن يكتفي بالآراء الشخصية أو الحديث عن موضوعات عامة ليُنتج فيلمًا وثائقيًا حقيقيًا". إذ **يجب أن يكون هناك باحثون مختصون في "الأنثروبولوجيا أو الإعلام أو الاقتصاد أو التاريخ أو الجغرافيا لضمان جودة العمل الوثائقي.**"

يضيف **أ. علي السطوحي** إلي وجود فجوة كبيرة بين الدراسات الأكاديمية والأفلام الوثائقية، حيث يعتقد أن الدراسات التي تُجرى عن الإنسان وعلم الاجتماع يمكن أن تؤثر بشكل كبير على تناول الأفلام الوثائقية، خصوصًا فيما يتعلق بموضوعات مثل الأمازيغ أو البيجا ويقول: "لو كانت هناك حلقة وصل بين البحث الأكاديمي وصناعة الأفلام، فإن ذلك سيساهم في تحسين جودة الأفلام بشكل ملحوظ". ومن خلال هذه الفكرة، يقترح **السطوحي الاستفادة من الأبحاث التي أُجريت عن جماعات معينة لبناء أفلام مستندة إلى تلك الدراسات بدلاً من البدء من الصفر**، مما "يوفر الوقت ويقدم طريقة علمية لفهم الناس بشكل أفضل."

كما تؤمن **أ.هالة جلال** بأن المواد الوثائقية ليست مجرد وسيلة لنقل القصص، بل هي أيضًا أداة لتبادل الأفكار وتعزيز الوعي. يجب أن ندرك أهمية كل من البحث الأنثروبولوجي وصناعة الأفلام الوثائقية، ونسعى لتحقيق التكامل بينهما. صناعة الأفلام الوثائقية يجب أن تهدف إلى تقديم صورة صادقة وشاملة، وأن تسهم في فهم أفضل للمجتمعات المختلفة وتبادل الأفكار.

- **تحول سرد القصص: من النمطية إلى الإبداع**

يشير **أ.مراد أحمد** إلى أن "مسألة استقطاب المزيد من الجماهير تتعلق بشكل الإنتاج والمحتوى الذي يجب أن يبتعد عن النمطية والتقليدية في السرد". فقد تغيرت نظرة الناس إلى المواد الوثائقية، حيث كانت تُعتبر سابقًا "معلوماتية بحتة ومجرد سرد

بأسلوب إيقاع بطيء"، وهو ما يتناقض مع نمط الحياة السريع الحالي. لذا، يعتبر **أحمد** أنه من الضروري أن تأخذ الجهات المنتجة ذلك بعين الاعتبار. **وقد شهد الإنتاج الوثائقي مؤخرًا " تجديدات ملحوظة، مثل إدخال أسلوب الـ 'Docdrama' بإنتاج عالي الجودة، مما ساعد على تجديد أدوات العرض"**. هذا التحديث قد أثر بشكل كبير على جودة الأفلام الوثائقية وعلى رأي المشاهدين والنقاد .على الرغم من التقدم التكنولوجي، يعبر **أ. أحمد عبدالعليم** عن قلقه من أن **"مستقبل الإنتاج الوثائقي الأنثروبولوجي يبدو مظلمًا، لأنه لا توجد خطة إنتاج واضحة تضع هذا النوع من الأفلام ضمن الأولويات"**. يشير إلى أن الجهد المبذول حاليًا "عشوائي ويعتمد بشكل كبير على مجهودات طلاب كليات الإعلام"، مما يجعل المستقبل غير واضح.

- **الالتزام بالمعايشة والواقعية**

يشدد **أ. خالد النساج** على أهمية أن يقوم الإنتاج الوثائقي الذي يقدم الجماعات الفرعية على أساس فكرة المعايشة والملاحظة المباشرة، والالتزام بالواقعية. ويقول: "يجب أن يعكس الوثائقي الحقيقة كما هي، من خلال التفاعل المباشر مع أفراد الجماعات والتعرف على حياتهم وتجاربهم الحقيقية." ويؤكد **النساج** على ضرورة أن تذهب الأفلام الوثائقية والبرامج إلى الأطراف، أي أن تصل إلى الناس الذين يتواجدون في المناطق البعيدة أو الأقل وصولًا، من أجل تسليط الضوء على قضاياهم وتقديم محتوى يتناول تجاربهم ومشاكلهم بشكل مباشر.

المحور الرابع: مرتكزات ومحددات عمل الوثائقي الانثروبولوجي (مادة الاشتغال، منهجية العمل).

حدود التعاون بين الباحث الأنثروبولوجي والمخرج الوثائقي

جدول (٦)

حدود التعاون بين الباحث الأنثروبولوجي والمخرج الوثائقي

المحور	نقاط الاتفاق	نقاط الاختلاف
أهمية التعاون	الجميع اتفق على أن التعاون بين الباحث والمخرج أساسي لإنتاج وثائقيات دقيقة وصادقة تعكس الواقع.	اختلاف في مدى إدراك هذا التعاون على أرض الواقع؛ إذ يرى البعض أنه محدود ونادر الحدوث، بينما يعتقد آخرون أنه يشهد اهتمامًا متزايدًا مؤخراً.
التكامل بين العلم والفن	يُجمع على أن العلم والفن يكملان بعضهما في إنتاج الأفلام الوثائقية، حيث يقدم الباحث تحليلًا عميقًا بينما يحول المخرج الأفكار إلى صور بصرية.	تباين الآراء حول أولويات كل طرف: التركيز على الدقة العلمية مقابل الميل إلى الجوانب الفنية أو الدرامية التي قد تخدم أغراضًا تجارية أو شخصية.
دور الوسائل الإعلامية	اتفاق على أن الوسائل الإعلامية تقدم وسيطًا قويًا لتوثيق وتحليل المجتمعات بصريًا.	يرى البعض أن الوسائل الإعلامية قد تُوجه بأجندات مختلفة مثل الربح التجاري أو الشهرة، مما قد يؤثر على مصداقية التوثيق ودقته.
التحديات في التعاون	اتفق الجميع على أن العمل يحتاج إلى مؤسسية وتكرار الزيارات الميدانية للجماعة المستهدفة للحصول على نتائج دقيقة وصادقة.	تباين في وجهات النظر حول قدرة الباحث والمخرج على العمل معًا بفعالية في ظل وجود اختلافات في الأهداف والأولويات.

وفيما يلي أبرز النقاط المتعلقة بحدود العلاقة بين الباحث الأنثروبولوجي والمخرج الوثائقي:

- **التأثير الفني والعلمي**

توضح **د. مي عامر** أن " المخرج، مهما كان مبدعًا، لا يستطيع تقديم عمل وثائقي دقيق دون الاستناد إلى معرفة الباحث. فالأنثروبولوجيا المرئية تتطلب معرفة متخصصة، لا تتوفر عادة لدى المخرجين. ومع ذلك، قد يؤدي **تدخل المخرج دون مراعاة التفاصيل البحثية الدقيقة إلى تصوير سطحي يضعف القيمة العلمية للعمل.** على سبيل المثال، قد يركز المخرج على مشاهد درامية لجذب الجمهور، بينما يرى الباحث أن هذه المشاهد تفتقر إلى العمق العلمي اللازم لفهم القضايا الاجتماعي؛ لذا أرى اننا نحتاج إلى كليهما. المخرج الذي يعرف نفسه كمخرج لأعمال تحمل خلفية أنثروبولوجية لا يمكنه العمل فقط كفنان، تمامًا كما يحدث في الأفلام الطبية. لا يمكنك أن تأخذ مخرجًا وتخبره ببساطة بأنك ستعرض عملية جراحية أو تروي تاريخ مرض ما أو تصنع فيلمًا عن مرض معين دون وجود شخص يساعده في فهم المرض وتوضيح ما يجب تصويره وما ينبغي توصيله. **الأنثروبولوجيا المرئية تحتاج إلى ما هو أكثر من مجرد الإخراج الفني؛** فهي تتطلب فهمًا عميقًا للمحتوى المطروح". كما تشير **د. حورية مصطفى** أن "الأنثروبولوجيا المرئية تمثل مجالًا بين العلم والفن، لأنها تعتمد على فن التصوير، وتحتاج إلى باحث ومخرج وثائقي في آنٍ واحد. الباحث الأنثروبولوجي يجب أن يكون لديه فهم للثقافة التي يدرسها، بينما يمتلك المخرج الوثائقي التقنيات الفنية لفهم الزوايا والتصوير".

تؤكد أ. **فرح وائل** على" وجود تكامل بين الباحث الأنثروبولوجي والمخرج الوثائقي، حيث يمكن أن يظهر تداخل واضح بين الفن والعلم. **فقد يكون الفن مبنيًا على علم الأنثروبولوجيا، أو قد يعبر العلم عن نفسه بأسلوب فني.** على سبيل المثال، قد يلجأ فنان إلى الاستعانة بعلم الأنثروبولوجيا كجزء من عمله الإبداعي، أو قد يسعى باحث إلى تقديم علمه ومشروعه البحثي بطريقة فنية تعبر عن أفكاره بأسلوب جمالي مبتكر".

يشدد **د. محمد عبدالراضي** على أن حدود العلاقة تتجلى في إيجاد توازن بين الجانبين الفني والعلمي. الباحث يقدم إطارًا علميًا يعكس الثقافة المادية وغير المادية للمجتمع، مثل العادات والتقاليد والأنماط الاجتماعية، بينما يعمل المخرج على تحويل هذه المادة إلى عمل جذاب بصريًا التحدي هنا هو عدم انحراف العمل الوثائقي ليصبح مجرد سرد قصصي بعيد عن التحليل العلمي. على سبيل المثال، قد يُبرز المخرج جماليات البيئة أو اللباس التقليدي دون التطرق إلى القضايا الاجتماعية التي تسعى المادة البحثية إلى تحليلها .

يقول **أ.د عبدالوهاب الحايس،** أن الأنثروبولوجيا تدرس قضايا وموضوعات تتعلق بالجماعات، لا سيما الجماعات الفرعية. وهي علم يرتبط بفنون الأداء، ليس بمعنى الفن التقليدي، بل كفن يتمثل في تطبيق النظريات العلمية لدراسة وتحليل القضايا المرتبطة بجماعات عرقية وإثنية معينة، مثل جماعات الأمازيغ أو البدو وغيرهم من الجماعات التي تُعد فرعية وتعيش على هامش المجتمع بشكل عام.

- **ندرة التعاون المنهجي وتبعاته**

تشير **د. علياء الحسيني** إلى أن التعاون المؤسسي بين الباحثين الأنثروبولوجيين والمخرجين الوثائقيين **نادر جدًا. غالبًا ما يحدث هذا التعاون بشكل فردي وغير منظم،** مما يؤدي إلى

غموض في تحديد حدود الأدوار. على سبيل المثال، قد يفرض المخرج رؤيته الفنية على البحث، أو قد يجد الباحث نفسه مضطرًا للتنازل عن بعض الجوانب العلمية لتلبية متطلبات الإنتاج الفني. ويضيف **د. محمد عبدالراضي** قليلاً ما يتم الاستعانة بالباحثين الأنثروبولوجيين في إنتاج الأفلام الوثائقية، **ولكن في الفترة الأخيرة بدأنا نلاحظ زيادة في عدد الطلاب في قسم الأنثروبولوجيا بكلية الدراسات الأفريقية الذين يهتمون بفكرة الفيلم الإثنوجرافي ويعبرون عن رغبتهم في إنتاج الأفلام التسجيلية.** لقد قام هؤلاء الطلاب بعمل أبحاث في مادة الدراسة الميدانية والأنثروبولوجيا المرئية، حيث بدأوا في تصوير أفلام تسجيلية. وبالتالي، أصبح الموضوع يتلقى اهتماماً أكبر في الآونة الأخيرة.

- **أمثلة واقعية لتباين الحدود**

توضح **د. حورية مصطفى** أن " الباحث ينظر إلى الثقافة من خلال "الزوايا الثقافية"، وهي تفاصيل دقيقة للحياة اليومية لا يلتفت إليها المصور العادي. على سبيل المثال، في المجتمع البدوي، قد يلاحظ الباحث أن المرأة لا تجلس بجانب زوجها في السيارة، بل تجلس في الخلف مع الأطفال، وهي ملاحظة تحمل دلالات ثقافية. بينما قد يركز المخرج فقط على جمالية المشهد دون استيعاب أبعاده الاجتماعية".لو أردتِ مثلًا صنع فيلم وثائقي عن النوبة في مصر، فإن هذه المجتمعات تشهد تغيرات كبيرة ولم تعد تعيش في أنساقها البيئية التقليدية. البدو لم يعودوا يعيشون حياة الترحال مع الجمال، بل أصبحوا يسكنون في فيلات وشقق ويستخدمون الهواتف المحمولة. ومع ذلك، يميزهم عنصران رئيسيان: ملابسهم التقليدية التي لا يزالون يحتفظون بها، ولهجتهم البدوية التي ما زالوا يحافظون عليها بدرجة كبيرة. الملابس تعتبر جزءًا لا يتجزأ من هويتهم، ولا يستطيع أحد التخلي عنها، واللهجة البدوية ما زالت تحتفظ بوجودها. ومع ذلك، قد لا يستطيع الشخص العادي تمييز ما إذا كان البدوي من سيناء أو من الصحراء الغربية، لكن المتخصصين يمكنهم التعرف عليهم.

- **الحلول لتحديد حدود العلاقة بين الباحث والمخرج**

- **وضع اتفاقيات واضحة:** يشير **د. خلدون بشارة** إلى ضرورة **وجود اتفاقيات محددة تُرسي قواعد التعاون بين الطرفين**. هذه الاتفاقيات تُعرّف حدود الأدوار بوضوح، مثل تحديد مدى تدخل المخرج في المادة البحثية ونطاق مشاركة الباحث في الجانب الفني. كما تؤكد د. **مي عامر** على أهمية التكامل بين الباحث والمخرج، بحيث يحترم المخرج الأطر العلمية التي يقدمها الباحث، وفي المقابل يدرك الباحث ضرورة صياغة مادته بأسلوب بصري ملهم وجذاب. و يرى **د. محمد عبدالراضي** أن العمل الوثائقي المثالي يتطلب فريقًا يضم باحثين ومخرجين يعملون بانسجام، مع وجود تنسيق مستمر لتجنب أي تضارب في الأدوار أو الرؤى.
- **التدريب وورش العمل المشتركة:** تشير **د. حورية مصطفى** إلى أهمية توفير برامج تدريبية تجمع بين الباحثين والمخرجين، مثل ورش عمل متخصصة في "الأنثروبولوجيا المرئية". هذه البرامج تساعد المخرجين على فهم السياقات الاجتماعية والثقافية، وتساعد الباحثين على تطوير مهاراتهم في التقنيات البصرية.

- **تعزيز التعاون المؤسسي:** تؤكد **د. علياء الحسيني** على أهمية إنشاء منصات أو مشروعات مؤسسية تدعم التعاون بين أقسام الأنثروبولوجيا وكليات الفنون السينمائية. مثل هذه المشروعات تُسهم في تنظيم العلاقة بين الباحثين والمخرجين وتعزز إنتاج أعمال وثائقية متوازنة.

المحور الخامس: أدوات الأنثروبولوجيا المرئية وتأثير التكنولوجيا الحديثة عليها

جدول (٧) أدوات الأنثروبولوجيا المرئية وتأثير التكنولوجيا الحديثة عليها

المحور	أ.د عبدالوهاب الحايس	أ. فرح وائل	د. مي عامر	د. محمد عبدالراضي	د. حورية مصطفى
تأثير التكنولوجيا الحديثة على وثائقيات الأنثروبولوجيا	التقنيات الحديثة مثل الإنترنت والمحتوى الرقمي تساعد في توسيع قاعدة البيانات، مع الحذر من المعلومات غير الموثوقة. الأدوات التقليدية مثل الملاحظة والمقابلات تبقى أساسية، مع تعزيزها بالأدوات التكنولوجية .	ساعدت التكنولوجيا في تسهيل العمل الأنثروبولوجي.	الأدوات التقليدية مثل الاستبيانات والملاحظات لا تزال مهمة، لكن التصوير الرقمي يحسن من جودة المنتج النهائي.	الذكاء الاصطناعي جزء من الأنثروبولوجيا الحديثة، لكنه لا يعوض عن التفاعل البشري بسبب افتقاره للمشاعر والعواطف.	غياب التدريب الفعلي على الأنثروبولوجيا المرئية في كليات الدراسات الأفريقية يعيق استخدام هذه الأدوات بشكل فعّال. الأدوات المتاحة حالياً هي الأدوات المعروفة مثل الكاميرا وتسجيل الفيديو، مما يعيق الأنثروبولوجيا المرئية في المؤسسات الأكاديمية.

وتفصيلًا لهذه النقاط، نستعرض الآتي:

- **أدوات البحث الميداني في الأنثروبولوجيا: بين الأساليب التقليدية والتكنولوجيا الحديثة**

يوضح **أ.د عبدالوهاب الحايس** أن الباحثين غالبًا ما يستخدمون أساليب مثل الملاحظة المباشرة والملاحظة بالمشاركة داخل المجتمع المدروس لفترات قد تصل إلى عامين. تشمل الأساليب الأخرى التي يستخدمها الباحث في الأنثروبولوجيا المقابلات المباشرة. وواحدة من السمات المميزة لعلم الأنثروبولوجيا هي الاعتماد على **"الإخباريين"** كطريقة منهجية. **الإخباري هو شخص كبير السن يحمل ذاكرة الأمة أو الجماعة**، ويعرف تفاصيل هذه الجماعة، مثل عاداتها وتقاليدها وتصوراتها ورؤاها بشكل عميق. الإخباري يكون مصدرًا مباشرًا للبيانات التي يحتاجها الباحث الأنثروبولوجي، خاصة عندما يتعلق الأمر بدراسة الجوانب التاريخية لهذه الجماعة عبر فترات زمنية مختلفة.

وفي السياق نفسه، تشير أ. **فرح وائل** إلى أن الأدوات المستخدمة في الأنثروبولوجيا لا تتغير بين البحث المكتوب وبين الأنثروبولوجيا المرئية، لكن طريقة التعبير هي التي تختلف. **على الرغم من التطور التكنولوجي الذي أتاح استخدام الموبايل والكاميرا كأدوات بحثية، فإن العنصر الأهم في الأنثروبولوجيا المرئية هو بناء الثقة مع المجتمع قبل بدء التوثيق.** من هنا، تبرز أهمية التفاعل المباشر الذي يتم من خلاله بناء العلاقة بين الباحث والمجتمع المدروس. فوجود الكاميرا قد يغير من سلوكيات أفراد المجتمع ويؤثر في ردود أفعالهم، وهو ما يتطلب الحذر في استخدام الأدوات المرئية.

تضيف **د. مي عامر** تجربتي في هذا المجال تتمثل في العلاقة بين الأنثروبولوجيا والإعلام. قبل أن يبدأ الباحث أو المخرج في أي عمل، يجب أن يكون هناك تعايش فعلي في المكان المدروس. وهذا يعني استخدام جميع الأدوات البحثية المعتادة مثل الاستبيانات، المقابلات العميقة، المقابلات الجماعية، تسجيلات الميدان، تدوين الملاحظات. العديد من هذه الأدوات تعتمد على النص المكتوب، وهو عنصر بالغ الأهمية لأن الكتابة توثّق تاريخ الأشخاص أو الجماعات المعنية، في حين أن ما يتم تصويره لا يعكس سوى لحظة واحدة فقط من هذا التاريخ. لذلك، لا يجب أن نهمل أهمية التوثيق المكتوب في البحث الأنثروبولوجي.
من جهته، يوضح **د. محمد عبدالراضي** أن الأنثروبولوجيا لا تزال تعتمد على التفاعل المباشر في الميدان لفهم العلاقات الاجتماعية، رغم تأثير التكنولوجيا الحديثة. ورغم دخول الذكاء الاصطناعي والأنثروبولوجيا الرقمية، فإن جوهر الأنثروبولوجيا لا يزال يكمن في المقابلات الشخصية ودراسة الحالات الميدانية بشكل مباشر.
وفي السياق ذاته، تؤكد **د. حورية مصطفى** تؤكد على أهمية التفاعل الميداني، مشيرة إلى أن المؤسسات الأكاديمية لا توفر التدريب الكافي على الأنثروبولوجيا المرئية، حيث لا توجد أدوات متخصصة مثل الكاميرات المخصصة لهذا الغرض. فهي ترى **أن الأدوات التقليدية لا تزال هي الأكثر شيوعًا، ولكنها لا تكفي لإعداد الباحثين بشكل عملي على الأنثروبولوجيا المرئية.**
التكنولوجيا الحديثة قد أدت إلى تغييرات كبيرة في كيفية تنفيذ الأبحاث الأنثروبولوجية، لا سيما من خلال استخدام أدوات مرئية متطورة يبين **أ.د عبدالوهاب الحايس** أنه مع التطورات التقنية والتكنولوجية الحالية، يتجاوز الباحث الأنثروبولوجي الأدوات التقليدية ويعتمد على التقنيات الحديثة، بما في ذلك التطبيقات الإلكترونية. يمكن للباحث الآن استخدام الإنترنت والمحتوى الرقمي المتاح عليه، مثل الصور والمعلومات عن الجماعات، لتوسيع قاعدة بياناته. من الضروري أن يتأكد الباحث من مصداقية هذه المعلومات، حيث قد تكون مكتوبة بطريقة ذاتية من قبل أبناء الجماعة، مما قد يضيف طابعًا فخمًا . بالإضافة إلى ذلك، يعتبر المحتوى الرقمي مثل النصوص والصور والأفلام التي ينشرها أبناء الجماعة على الإنترنت مادة قيمة. تُعتبر هذه المادة ثرية، مما يجعلها مهمة جدًا للباحثين. في هذه الحالة، يستخدم الباحثون تقنيات تحليل متقدمة مثل السيميولوجيا (التحليل السيميائي) للمحتوى، خاصة الصور، لتحليل البيانات التي يجمعونها وفهمها بشكل أعمق.وفي السياق ذاته ، تؤكد أ. **فرح وائل** أن الكاميرا أصبحت أداة شائعة في الأنثروبولوجيا المرئية، لكنها تضيف أن تأثير وجود الكاميرا على أفراد المجتمع المدروس قد يكون كبيرًا، وهذا التفاعل مع الكاميرا

يتطلب فحصًا دقيقًا لأن ردود الأفعال قد تتغير بناءً على وجود الكاميرا، مما يفرض تحديات على الباحثين في كيفية توثيق الحياة الواقعية للمجتمعات.
يعبر **د. محمد عبدالراضي** عن قلقه من أن **استخدام الذكاء الاصطناعي قد يعيق القدرة على فهم العواطف والثقافة الإنسانية التي هي جوهر الأنثروبولوجيا.** على الرغم من أنه يتيح أداة جديدة للدراسة، إلا أن الذكاء الاصطناعي يفتقر إلى البعد الإنساني والتفاعل الاجتماعي الذي يميز الأنثروبولوجيا التقليدية.

أخيرًا تضيف **د.مي عامر** قضية أخلاقيات البحث. إذا استُخدمت التكنولوجيا بشكل غير مسؤول، فقد ينتج عنها عمل بحثي أو فيلم وثائقي غير دقيق أو مضلل. هذا يمكن أن يؤدي إلى محتوى بحثي أو أفلام تكون غير مسؤولة أو حتى فاسدة. ولذلك، يجب على الباحث والمخرج تحمل المسؤولية الكاملة عن دقة البحث والمحتوى المعروض. أما بالنسبة للإنتاج المستقل أو غير التقليدي، فالتكنولوجيا والإنترنت، مثل يوتيوب وفيسبوك، قد ساهمت بشكل كبير في تمكين الأفراد من إنتاج أفلامهم الخاصة وعرضها للجمهور.

المحور السادس : تحديات الموضوعية والأخلاقيات في الأنثروبولوجيا المرئية: تداخل الذاتية واحترام الخصوصية الثقافية

جدول (٨)
إشكاليات الموضوعية والتحيز في الأنثروبولوجيا المرئية

الإشكالية	الآراء/الأمثلة
الموضوعية والتحيز في التوثيق	-أ.د **عبدالوهاب الحايس:** من الصعب تحقيق الموضوعية الكاملة في الأنثروبولوجيا المرئية، إذ أن التفاعل مع الجماعة قد يؤدي إلى **تحيز** في تقديم الصورة بسبب **العلاقات الشخصية** والتفاعل الاجتماعي. - **د. مي عامر:** تؤكد أن **الذاتية** جزء لا يتجزأ من الأنثروبولوجيا، حيث أن نفس الموقف قد يفسره الباحث بطرق مختلفة بناءً على خلفيته. - **د. محمد عبد الراضي:** يرى أن **التحيز** يتولد بسبب **البيئة الاجتماعية** التي يتواجد فيها الباحث، وأنه من الصعب **فصل الذاتية عن الموضوعية** في الواقع العملي. - **أ. فرح وائل**: توضح أن الباحث يجب أن يكون **واعيًا لموقعه الاجتماعي** وتأثيره على تقديم القصة، ويجب أن يدرك أن خلفيته تؤثر في الطريقة التي يروي بها الأحداث.
التحديات الأخلاقية في الأنثروبولوجيا المرئية	- **د. مي عامر**: التحدي الأكبر هو **موافقة المشاركين** على التوثيق والخصوصية. إذا كانت المادة حساسة (مثل العنف أو القضايا الاجتماعية)، يجب على الباحث الحصول على **موافقة مسبقة** قبل العرض، والتأكد من حماية الهوية. - **د. محمد عبد الراضي**: يشير إلى أهمية **التواصل مع كبار المجتمع** مثل الشيوخ للحصول على **تفويض** من المجتمع قبل التصوير أو جمع البيانات. - **د. خلدون بشارة:** يرى أن تصوير المجتمعات يمكن أن يكون **اعتداء على الخصوصية**، مشيرًا إلى أن الباحثين قد يغيرون الواقع أثناء التصوير مما يزعزع الثقة. - **د. علياء الحسيني**: تشدد على **كسب ثقة المبحوثين**، وأهمية أن يكون لديهم **الحرية في اختيار قبول أو رفض التصوير**.
اختراق خصوصية المجتمع	- **أ.د عبدالوهاب الحايس:** يوضح أهمية **الحفاظ على سرية المعلومات** وحماية **أسرار الجماعة**، بحيث لا يتم عرض أي مواد تمس خصوصيتهم أو تضرهم . - **د. خلدون بشارة:** يناقش مفهوم **التصوير كحقيقة**، مشيرًا إلى أن اللحظة التي يتم فيها **التوقف عن الخداع** هي لحظة الحقيقة، حيث تتغير التصرفات عندما يعرف الأفراد أنهم يتم تصويرهم. - **د. مي عامر:** تقول إن استخدام الصور والفيديوهات في الأنثروبولوجيا قد يعرض الأفراد لمواقف **حرجة** إذا تم الكشف عن هويتهم أو خصوصيتهم.

فيما يلي تفصيل لهذه الإشكاليات:

- **الموضوعية والتحيز في التوثيق**

تعتبر **الموضوعية** من أبرز الإشكاليات التي يواجهها الباحث الأنثروبولوجي في توثيق الحياة الاجتماعية والثقافية للجماعات. حيث يصعب على الباحث في بعض الأحيان الحفاظ على موضوعيته الكاملة بسبب تأثير العلاقات الشخصية مع أفراد الجماعة، مما يؤدي إلى تحيز في تقديم الصورة . هذا التحيز قد يؤدي إلى تحريف الصورة الواقعية أو تغليب بعض الجوانب على حساب أخرى. لذا، يعتبر الحفاظ على **الموضوعية** جزءًا أساسيًا من المسؤولية البحثية للأنثروبولوجي، ويجب أن يكون حذرًا في التأثيرات الذاتية التي قد تؤثر على تقديم نتائج البحث.

يرى **أ.د عبدالوهاب الحايس** أنه عند إجراء البحوث الأنثروبولوجية التي تتطلب الملاحظة بالمشاركة، **قد يتوحد الباحث مع الجماعة ويفقد القدرة على الحفاظ على الموضوعية** . يعقد صداقات معهم ويتفاعل معهم ويشاركهم أفراحهم وأحزانها، مما يؤدي إلى تفخيم بعض السلوكيات أو تعظيم بعض السلوكيات الضارة أحيانًا، ولتخطي هذه الإشكالية، يجب أن يكون الباحث على علم بها قبل أن يبدأ في العمل الميداني، وأيضًا من المهم أن يتلقى توجيهًا جيدًا من مشرفه، والذي يجب أن يتابع عمله.

تشير **أ. فرح وائل** إلى أن المخرج أو الباحث لا يمكنه الانفصال عن موضوعه بشكل كامل، حيث إن خلفيته الثقافية والاجتماعية تؤثر على كيفية روايته للقصة. هي ترى أن **الوعي بموقع الباحث في القصة أمر أساسي لفهم مدى تأثيره في السرد،** مثل نوعنا وطبقتنا واهتماماتنا وخلفياتنا وسبب اهتمامنا وارتباطنا بالقصة. كل هذه العوامل تؤثر في صناعة القصة.

يشير **د. محمد عبدالراضي** أن فكرة الذاتية والموضوعية قد درسها باحث أنثروبولوجي يُدعى **"بيير بورديو Pierre Bourdieu "**، الذي قام بإجراء العديد من الدراسات حول **الجوانب الذاتية (subjective) والموضوعية (objective).** وقد وجد أن الباحث يتأثر بالبيئة الاجتماعية التي يعيش فيها، حيث إنه عندما يندمج الباحث في مجتمع الدراسة ويتفاعل مع سلوكيات أفراده، خاصةً إذا كانوا لطفاء معه، فقد يسعى إلى إظهار الجوانب الإيجابية وتجاهل بعض السلبيات أو عدم تفسيرها بشكل كافٍ. لأن الباحث، في نهاية المطاف، هو إنسان. لذا، فإن فكرة الفصل أو العزل بين الذاتية والموضوعية تبدو صعبة جداً؛ فقد يمكننا فصلها على الورق، لكن على أرض الواقع، يكون ذلك أمراً معقداً.

توضح **د. علياء الحسيني** قائلة: "عندما أدرس مجتمعًا، لا أكون مع أو ضد؛ أنا أنقل ثقافة المجتمع وأدرس وجهة نظرهم كما هى". كما تضيف: **"الذاتية في الموضوعات الأنثروبولوجية تكون في التحليل، وليس في نقل الثقافة؛ فالنقل يجب أن يتم بموضوعية".**

- **التحديات الأخلاقية في الأنثروبولوجيا المرئية**

يشير **أ.د عبدالوهاب الحايس** أن الباحث الأنثروبولوجي الذي يتعامل مع جماعة فرعية معينة ذات خصوصية ثقافية محددة، يجب أن يكون على دراية بأخلاقيات البحث العلمي. من

ضمن هذه الأخلاقيات هو الحفاظ على سرية المعلومات والأسرار المتعلقة بالمبحوثين بشكل عام، حيث إن المبحوث هنا يشمل الجماعة الفرعية ككل. وبالتالي، يجب أن تُحفظ كل المعلومات والبيانات المتعلقة بالجماعة، وأسرارها، بهدف الوصول إلى النتائج العلمية فقط دون الكشف عن هذه الأسرار بأي شكل من الأشكال، وخاصة الصور والنماذج التي تخص الجماعة بشكل عام.

يوضح **د. محمد عبدالراضي** لكي يتمكن الباحث من التعامل مع الخصوصية الثقافية لأي مجتمع، من الضروري التواصل مع كبار هذا المجتمع، الذين يُطلق عليهم اسم " **Key Informants" أو شيوخ القبائل**. يجب أن يحصل الباحث على تصريح أو تفويض من هؤلاء الشيوخ لتمكينه من تصوير الفيلم. كما ينبغي أن يكون هؤلاء الشيوخ مقتنعين بأهمية الموضوع الذي يتم تصويره. يهدف الباحث من خلال هذا العمل إلى نقل ثقافة المجتمع، سواء كانت ثقافة الأمازيغ أو البدو أو صعيد مصر، لكي يتعرف الأجيال القادمة على عادات وتقاليد هذه المجتمعات.

تشير **د. مي عامر** إلى أن قد يواجه الباحث مشكلة عندما يقوم بتصوير فيلم ويتفاجأ لاحقًا بأن أحد الأشخاص الذين تم تصويرهم يطلب عدم عرض صورته أو فيديوهاته. في هذه الحالة، يعود القرار إلى الباحث وحساسيته تجاه الموقف. قد يكون الفيلم يتناول **موضوعات حساسة مثل العنف أو قضايا اجتماعية حساسة، مما قد يعرض المشاركين لمواقف حرجة**. في هذه الحالات، يجب أن يعود الأمر للباحث لاتخاذ قرار بشأن العرض أو عدمه. هناك أيضًا معايير تفرضها المؤسسات المنتجة للفيلم. يجب على الباحث أن يحصل على موافقة المشاركين، وهناك من قد يوافق على الظهور، لكن دون الحديث، أو يطلب إخفاء وجهه، أو استخدام اسم مستعار. في هذه الحالات، على الباحث أن يسجل هذه الشروط ويعرض على المشاركين ما تم تصويره للتأكد من موافقتهم النهائية قبل العرض.المشكلة ليست فقط في التحديات التي يواجهها الباحث، بل في الوعي العام والسياسات التي تؤثر على نشر هذه الأفلام. المجتمعات التي يتم تصويرها قد تكون تحت ضغط سياسي أو اجتماعي، مما يجعل مشاركتها محفوفة بالمخاطر.

يقول د. خلدون بشارة: "دائمًا ما يوجد اعتداء على خصوصية الفرد. سواء كنت أنا الأنثروبولوجي الذي يعتدي على خصوصية الفرد أو الشخص الذي يتم تصويره، فإنه يكون كاذبًا وخداعًا، هو نفسه يقوم بعمل pause لحياته ويغير من تصرفاته. حتى الاخباريين الذين أجري معهم المقابلات فهم يعرفون الأسئلة مسبقًا، ومعها تختفي الحقيقة نتيجة تجهيز الإجابات.

المحور السابع: التحديات الميدانية في توثيق حياة الجماعات الفرعية: عقبات ثقافية، اجتماعية، ولوجستية

جدول (٩)
التحديات الميدانية التي تواجه فرق العمل أثناء توثيق حياة الجماعات الفرعية

التحديات	آراء الضيوف	أمثلة توضيحية
الحصول على التصاريح والموافقات	- **أ.د عبدالوهاب الحايس**: الباحث يجب أن يحصل على تصريح من السلطات المحلية والجهات الأمنية مثل الشرطة أو الجيش . ويضيف "من الصعب إجراء دراسات ميدانية في المجتمعات التي لا يثق فيها الأفراد بالباحثين أو في المجتمعات التي يهيمن عليها القادة المحليون مثل المشايخ أو العمداء". - **د. حورية مصطفى:** في بعض المجتمعات البعيدة أو المغلقة، يكون من الضروري وجود شخص محلي يساعد الباحث على الحصول على إذن من المجتمع.	في مناطق مثل النوبة أو الأمازيغ حيث توجد توترات تاريخية مع السلطات المحلية، قد يكون من الصعب الحصول على التصريح، مما يتطلب أن يكون الباحث على دراية بالسياسات المحلية. في حالة المجتمعات النائية، يعتمد الباحثون على مرشدين محليين يُعرفون باسم "الإخباري" لإدخالهم إلى المجتمع وتسهيل مهمتهم.
الفجوة الثقافية والاجتماعية بين الباحث والجماعة	- **أ.د عبدالوهاب الحايس:** الباحث قد يواجه صعوبة في فهم القيم والمعتقدات التي تؤثر على سلوكيات أفراد المجتمع، وقد تؤدي الفجوة الثقافية إلى سوء الفهم . - **د. محمد عبد الراضي:** إذا لم يفهم الباحث ثقافة المجتمع جيدًا، قد يقع في أخطاء ثقافية تؤثر على سير البحث. - **د. علياء الحسيني:** تؤكد على أهمية دراسة الباحثين لثقافة المجتمع محل الدراسة. حيث قالت: "أهم ما يجب على الباحث القيام به هو دراسة ثقافة المجتمع الذي يبحث فيه، ومعرفة لغته ودلالاتها، واختيار الهيئة والملابس المناسبة عند النزول إلى هذا المجتمع".	على سبيل المثال، في بعض المجتمعات قد يُعتبر توجيه أسئلة شخصية مباشرة عن حياة الأفراد تدخلًا في خصوصياتهم، مما قد يؤدي إلى رفض الإجابة أو حتى النفور من الباحث. كما أن الباحث الذي لا يفهم جيدًا الرموز الثقافية قد يُساء تفسيره إذا قام بتصرف يُعد غير لائق في نظر أفراد المجتمع.
اللغة واللهجة	- **د. حورية مصطفى:** اللهجات المحلية قد تكون عقبة خاصة في المجتمعات البدوية أو النوبية. - **أ.د عبدالوهاب الحايس**: الاختلافات اللغوية قد تسبب صعوبة في التواصل الفعال وفهم التفاصيل الدقيقة للثقافة المحلية.	في المجتمعات البدوية، قد يصعب على الباحث التحدث باللهجة المحلية، خاصة في المناطق النائية، حيث تختلف اللغة بشكل كبير عن اللغة الرسمية. ومع ذلك، في ظل العولمة والتواصل الرقمي، قد تصبح بعض اللهجات أسهل في الفهم بمرور الوقت.
المخاوف من السلطة	- **أ.د عبدالوهاب الحايس**: المجتمع قد يشعر بالخوف من الباحث باعتباره جزءًا من "السلطة"، ما قد يجعلهم مترددين في التفاعل معه . - **د. حورية مصطفى:** شعور المبحوثين بالقلق من المشاركة في البحث بسبب خوفهم من السلطات.	في حالة المجتمعات ذات الهويات الفرعية أو التاريخ السياسي المعقد، مثل المجتمعات النوبية، قد يُعتقد أن المعلومات قد تُستخدم ضدهم، مما يجعلهم متحفظين أثناء البحث. قد يشعر البعض أن المحادثات مع الباحث ستكون مُسجلة أو ستؤدي إلى تقديم تقارير إلى السلطات.
المشاكل اللوجستية (السفر والإقامة)	- **د. حورية مصطفى:** السفر والإقامة في المجتمعات البعيدة يشكلان تحديًا حقيقيًا. - **أ.د عبدالوهاب الحايس:** قد يتطلب البحث سفرًا إلى أماكن بعيدة قد لا تتوفر فيها البنية التحتية الأساسية.	في المجتمعات النائية مثل البدو أو في صعيد مصر، قد يتطلب السفر إقامة في ظروف صعبة (مثل الإقامة في خيام أو أماكن بدائية)، مما يرفع تكاليف البحث ويصعب على الباحثين التنقل بحرية.

التحديات	آراء الضيوف	أمثلة توضيحية
التحديات النفسية والإحباط	- **د. حورية مصطفى:** يتساءل أصحاب المجتمع عن سبب قيام الباحث بهذا البحث، مما قد يصيب الباحث بالإحباط إذا شعر بأنه يقوم بشيء ليس له فائدة. في بعض الأحيان، يطلب أصحاب المجتمع المساعدة من الباحث في أمور شخصية لحل بعض المشاكل الاجتماعية والاقتصادية مثل الخدمات. - **أ.د عبدالوهاب الحايس:** بعض الباحثين قد يواجهون تحديات نفسية عندما يشعرون بالإحباط بسبب مقاومة المجتمع أو بسبب الشكوك حول الهدف من البحث. - **د. مي عامر :** الباحث قد يعاني من شعور بالعزلة الاجتماعية بسبب الفروق الثقافية .	في بعض الأحيان، قد يشعر الباحث بأن المجتمع لا يهتم بالبحث أو يرى أنه لا يؤدي إلى نتائج ملموسة له. في مجتمعات ذات تقاليد قوية، قد يُعتبر البحث مجرد أمر أكاديمي لا يساهم في تحسين حياتهم اليومية، مما يؤدي إلى تراجع المشاركة.
تحديات متعلقة بمهارات الباحث العلمية	▪ **أ.د عبدالوهاب الحايس:** هناك أيضًا تحديات متعلقة بالمهارات العلمية للباحث ، مثل مهارة التأمل الذاتي. يجب على الباحث الأنثروبولوجي الانعكاسي أن يكون قادرًا على تقييم أدائه وتحديد الأخطاء التي وقع فيها وتصحيحها بشكل دوري. هذا يشمل التقييم الذاتي والقدرة على التأثير الإيجابي في المجتمع. عقبة أخرى تتعلق بقدرة الباحث على جمع وتحليل البيانات من المبحوثين ، وكيفية التفاعل مع المجتمع بشكل يسمح له بالحصول على أكبر قدر من المعلومات. في مرحلة جمع البيانات، يجب على الباحث أن يكون قادرًا على تلخيصها وتحليلها بطريقة تحقق أهداف البحث. ▪ **د. مي عامر**: لا يوجد دائمًا من يشرح للباحثين كيفية مقابلة المشاركين وتجنب إحساسهم بأنهم مجرد حالة دراسية. الباحثون قد يجدون أنفسهم محبوسين في فقاعة اجتماعية، دون أن يشعروا بالإحساس الحقيقي بالآخرين. التعاطف مع المشارك ليس من باب الشفقة، ولكن من باب فهم حياته وتجربته من خلال المقابلة	
مشاركة المجتمع المحلي	▪ **أ.د عبدالوهاب الحايس**: تحدي آخر هو كيفية تقديم نتائج البحث إلى المجتمع المحلي. من المهم أن يشارك الباحث المبحوثين وقيادات المجتمع في نتائج البحث، لأن ذلك يساعد في تحسين التفاعل بين البحث والمجتمع ويعزز من تأثير نتائج البحث. بالمجمل، يتطلب العمل كعالم أنثروبولوجي قدرة على التأثير في المجتمع الذي يدرسه، وقدرة على تحقيق نتائج علمية قيمة تؤدي إلى تحسين الوضع في المجتمع المحلي.	

المحور الثامن : استشراف مستقبل الأنثروبولوجيا المرئية في مصر والعالم العربي وسبل تطويرها

جدول (١٠)
أهم ما ورد عن مستقبل الإنتاج الأنثروبولوجي المرئي

المحور الرئيسي	التفاصيل
مستقبل الأنثروبولوجيا المرئية	- يتوقف على جودة الباحثين وتدريبهم بشكل جيد على استخدام الأدوات والتقنيات الحديثة. - تعزيز القدرة على دراسة الموضوعات المعاصرة باستخدام منهجيات جديدة وتحليل بيانات دقيقة وشاملة.
التحديات الحالية	- ضعف الإلمام بالتقنيات المتقدمة مثل الذكاء الاصطناعي . - تكاسل بعض الباحثين في استخدام الأدوات الحديثة والاستفادة من التكنولوجيا. - هيمنة أجندات سياسية على الإنتاج الإعلامي وتحليل المشكلات.
دور الذكاء الاصطناعي	- يسهم في تسريع تحليل البيانات وفهمها. - يساعد في الوصول إلى معلومات ضخمة ومتنوعة عبر الرقمنة، مما يفتح آفاقًا جديدة لدراسة الجماعات المدروسة. - أداة فعالة لحل المشكلات المعقدة بطريقة مبتكرة.
الاتجاهات الحديثة	- ظهور تخصصات مثل الأنثروبولوجيا الرقمية وأنثروبولوجيا الواقع الافتراضي. - التحول من دراسة المجتمعات التقليدية إلى المجتمعات الحضرية المعاصرة والتركيز على علاقتها بالتكنولوجيا.
التحديات الاجتماعية	-التعامل مع التغيرات المتسارعة في الهوية الناتجة عن النزاعات والصراعات. - فهم التنوع داخل المجتمعات، خاصةً في ظل التفاوتات الاقتصادية والاجتماعية الكبيرة.
أهمية تطوير المناهج	- تطوير المناهج التقليدية مثل الملاحظة والمقابلة لتتناسب مع البيئة الرقمية. - استخدام التكنولوجيا لتحليل المجتمعات المحلية والقضايا الحديثة بفعالية أكبر.
ضعف التخصص في العالم العربي	-غياب تخصصات الأنثروبولوجيا في معظم الجامعات العربية، باستثناء بعض البرامج في المغرب والجزائر . -الحاجة إلى إنتاج علم أنثروبولوجي تحرري بعيد عن التأثيرات الاستعمارية أو السياسية.
رؤية مستقبلية	-الأنثروبولوجيا ستظل علمًا أساسيًا طالما تطورت واستخدمت أدوات حديثة لفهم علاقة الإنسان بالإنسان والآلة. - يحتاج المجال إلى تبني منهجيات جديدة تعزز دوره في المشروعات التنموية وتحليل القضايا المجتمعية.

من أجل ضمان مستقبل الأنثروبولوجيا المرئية بما يتناسب مع تطورات العصر ومتغيراته الاجتماعية والتكنولوجية، يجب مراعاة العديد من النقاط الأساسية التي تساعد على تطوير هذا المجال. وهذه النقاط تتوزع على عدة محاور رئيسية:

- **جودة الباحثين وتطوير التدريب الميداني**

يشير **أ.د. عبدالوهاب الحايس** إلى أن "مستقبل علم الأنثروبولوجيا يتوقف بشكل كبير على جودة الباحثين وتدريبهم. يحتاج الباحثون في الأنثروبولوجيا إلى التدريب الفعّال على دراسة الموضوعات وفهم التقنيات والأدوات العلمية الجديدة التي تُستخدم في جمع البيانات". ولذلك، يعدّ تدريب الباحثين بشكل جيد جزءًا أساسيًا من ضمان تحسين جودة البحث الأنثروبولوجي وتطويره ليواكب التغيرات الاجتماعية والتكنولوجية.

- **دور الذكاء الاصطناعي والرقمنة**

يؤكد **أ.د. عبدالوهاب الحايس** أن الذكاء الاصطناعي ليس مجرد تقنية بسيطة، بل هو مجموعة من التطبيقات المعقدة التي تعتمد على تحليل البيانات العلمية المتاحة على الإنترنت بشكل سريع وفعّال. يوضح أن الذكاء الاصطناعي يمكن أن يسهم بشكل كبير في حل العديد من المشكلات المعقدة التي قد تواجه الأنثروبولوجيين في جمع البيانات وتحليلها. أما **د. علياء الحسيني**، فتشير إلى أن مستقبل الأنثروبولوجيا سيرتكز بشكل أساسي على دراسة علاقة الإنسان بالآلة، بعد أن كان التركيز في الماضي على دراسة علاقة الإنسان بالإنسان. هذه النقلة تتطلب من الباحثين تبني الأساليب الحديثة لتطوير معرفتهم وفهمهم لكيفية تأثير الآلات على المجتمعات البشرية.

- **ظهور تخصصات جديدة في الأنثروبولوجيا**

تشير **د. حورية مصطفى** إلى أن الأنثروبولوجيا قد تواجه خطر الاندثار إذا لم تقم بتطوير نفسها بشكل مستمر باستخدام أدوات ومناهج جديدة. ولذلك، بدأ يتشكل في السنوات الأخيرة العديد من التخصصات الجديدة في الأنثروبولوجيا، مثل **"الأنثروبولوجيا الرقمية" و"أنثروبولوجيا الواقع الافتراضي"**. تضيف أنه من المهم الانتقال من الواقع المعاش إلى واقع الإنترنت من أجل مواكبة التغيرات العالمية. وفي نفس الوقت، تؤكد على ضرورة الاستمرار في استخدام المناهج الأساسية مثل الملاحظة والمقابلة، والتي لا يمكن الاستغناء عنها، ولكن يجب تطويرها بشكل يتناسب مع العصر الحالي.

- **التحديات الاجتماعية والهوية**

تشير الأنثروبولوجيا إلى تأثير التغيرات المستمرة في الهويات بسبب النزاعات والصراعات المتواصلة، مما يشكل تحديًا كبيرًا لفهم المجتمعات من خلال هذا العلم. توضح **د. مي عامر** : "أرى أن الأنثروبولوجيا هي العلم الذي يمكن أن يحل العديد من المشكلات المستمرة في العالم العربي، خاصة في ظل النزاعات والصراعات المستمرة والتغيرات المستمرة في الهوية". هذا التحدي يتطلب من الباحثين في الأنثروبولوجيا تقديم رؤى ومعالجات تعكس تلك التغيرات الاجتماعية والثقافية بشكل دقيق.

- **ضعف التخصص الأكاديمي في العالم العربي**

تعاني الأنثروبولوجيا من نقص في البرامج الأكاديمية المتخصصة في الجامعات العربية. كما يقول **د. خلدون بشارة"** :هناك ضعف في الجامعات العربية في هذا التخصص بشكل عام، ولا يوجد تخصص بكالوريوس في الأنثروبولوجيا". ويضيف أنه يجب على الأنثروبولوجيا أن تتصالح مع تاريخها الاستعماري، وتنتج معرفة أنثروبولوجية تحررية لا تخضع لأجندات خارجية.

مناقشة النتائج

- تظهر النتائج وجود اتفاق عام بين المتخصصين حول ضرورة معالجة قضايا الجماعات الفرعية بعمق أكبر، وعدم الاكتفاء بالتوجهات السطحية أو الفلكلورية وأهمية التوازن بين إبراز الجوانب الإيجابية والسلبية للحياة اليومية لهذه الجماعات، وتقديم أصواتهم بشكل عادل، مع ضرورة معالجة القضايا الحقيقية التي تواجههم مثل التعليم وتمكين المرأة.
- تتفق الأغلبية على أن الكاميرات تركز غالبًا على القضايا المركزية وتغفل هموم الجماعات الهامشية. بينما يبرز بعض المخرجين النجاح في بعض الأعمال الوثائقية التي تعكس حياة هذه الجماعات، إلا أن التحديات تشمل تفاعل الجمهور المحدود مع هذه الأفلام، وعدم توفير المساحات الكافية لعرضها، والتوجهات السياسية للقنوات التي تنتجها. وعلى الرغم من الاتفاق العام بين المشاركين حول وجود تحديات تعوق نجاح الإنتاج الوثائقي في التعبير عن الجماعات الفرعية، إلا أن وجهات نظرهم تختلف حول أسباب الفشل وسبل تحسين هذا الإنتاج.
- الأغلبية ترى أن الإعلام والأفلام الوثائقية غالبًا ما تشوه الصورة الحقيقية للجماعات الفرعية بسبب غياب الاحتكاك المباشر واعتماد المخرجين على تصورات مسبقة. يؤكد المتخصصون أن الجهات المنتجة تسهم في تعزيز الصور النمطية، مما يؤدي إلى تقديم صورة غير دقيقة وغير مكتملة، ، حيث إن جودة الصورة المقدمة تعتمد على نية صانعي الأفلام وما إذا كانوا يسعون لتقديم صورة واقعية . ولتحقيق معالجة أعمق وأكثر واقعية، تحتاج الأفلام الوثائقية إلى وقت وجهد أكبر لفهم التنوع الثقافي الفعلي في المجتمع المصري من خلال البحث الأنثروبولوجي.
- **اتفقت الآراء بين المتخصصين على أن إنتاج الأفلام الوثائقية حول المجتمعات الفرعية في مصر تواجه:**
  - تحديات متعددة: تشمل الجوانب الإنتاجية، الثقافية، الاجتماعية، والتوزيعية. هذه التحديات تؤثر سلبًا على قدرة صناع الأفلام على إنجاز مشاريعهم بكفاءة.
  - أهمية التكيف: يتطلب العمل في مجتمعات مغلقة أو جماعات فرعية قدرة على التكيف واحترام العادات والتقاليد المحلية، مما يستدعي جهودًا إضافية من صناع الأفلام للتواصل مع هذه المجتمعات.
  - الاعتماد على الإبداع الشخصي :في ظل نقص الدعم المؤسسي والتمويل الكافي، يعتمد صناع الأفلام بشكل كبير على اجتهاداتهم الشخصية وتجاربهم الفردية، مما قد يؤدي إلى نتائج متباينة.
  - فرص جديدة :تفتح المنصات الرقمية أبوابًا جديدة لصناعة الأفلام الوثائقية، مما يوفر فرص عرض للجمهور، لكن يتطلب استغلال هذه الفرص تخطيطًا واستراتيجية مناسبة.
  - التوزيع: الحاجة إلى إعادة التفكير في كيفية توزيع الأفلام الوثائقية، بما يتماشى مع متطلبات السوق، ويتطلب ذلك تعاونًا بين صناع الأفلام والجهات الموزعة لتحقيق نتائج أفضل.

- بشكل عام، تعكس آراء المتخصصين تفاؤلًا بشأن مستقبل الإنتاج الوثائقي الأنثروبولوجي في مصر والعالم العربي. هناك وعي واضح بالتحديات والفرص المتاحة، ولكن النجاح يتطلب تكامل الجهود بين المؤسسات، الاعتماد على التكنولوجيا، وتحقيق جودة عالية في الإنتاج، والتجديد في أساليب السرد، والاستراتيجيات المدروسة لضمان استمرارية الإنتاج الوثائقي الأنثروبولوجي في مصر والعالم العربي. وتقديم أعمال تعكس الهوية الثقافية وتساهم في تعزيز الوعي الاجتماعي.
- اتفقت أغلب الآراء على أن التعاون بين الباحث الأنثروبولوجي والمخرج الوثائقي يُعد جوهريًا لإنتاج أعمال وثائقية تعكس بدقة واقع الجماعات الفرعية وتوثق ثقافاتها المتغيرة. هذا التعاون يبرز التكامل بين المعرفة العلمية للباحث التي تستند إلى التحليل المنهجي، وبين الخبرة الفنية للمخرج في تحويل هذه الرؤية إلى لغة بصرية. ومع ذلك، هناك قصور في هذا التعاون، حيث يحدث بشكل محدود وغير مؤسسي، مما ينعكس على جودة المنتج الوثائقي وأهدافه.
- ترى الأغلبية أن الأنثروبولوجيا المرئية تأثرت بشكل كبير بالتكنولوجيا الحديثة، مما ساعد في توسيع نطاق الأدوات المستخدمة في التوثيق الثقافي. رغم هذه التطورات، تظل الأدوات التقليدية مثل المعايشة الميدانية والمقابلات الشخصية أساسية لفهم الجماعات بشكل دقيق. تكنولوجيا مثل التصوير الرقمي والإنترنت تسهم في تحسين الجودة وتوسيع الفهم، لكنها لا تعوض الحاجة للتفاعل الميداني والمعايشة المباشرة.
- تتفق أغلب الآراء على أن العمل الميداني في الجماعات الفرعية يواجه مجموعة من التحديات التي تتراوح بين الثقافية والاجتماعية واللوجستية. أبرز هذه التحديات تشمل ضرورة الحصول على التصاريح والموافقات من السلطات المحلية والقيادات المجتمعية، مما يشكل عقبة في بعض الأحيان خاصة في المناطق التي تشهد توترات تاريخية. كما أن الفجوة الثقافية واللغوية بين الباحث أوالمخرج وبين المجتمع المحلي تؤثر بشكل كبير على عملية التفاهم والتواصل، مما قد يؤدي إلى صعوبة في جمع البيانات وتحليلها بدقة. بالإضافة إلى ذلك، تواجه فرق العمل صعوبة في الوصول إلى معلومات حساسة تتعلق بقضايا مثل العلاقات الجنسية أو الأمور الاقتصادية، بسبب وجود تابوهات اجتماعية. على صعيد آخر، تعتبر العوائق اللوجستية مثل صعوبة السفر والإقامة في مناطق نائية أو الظروف المناخية الصعبة من أبرز التحديات التي قد تعرقل سير العمل الميداني. وأخيرًا، يشير المتخصصون إلى التحديات النفسية في التفاعل مع المجتمع، حيث قد يشعر الأفراد بالقلق أو عدم الثقة تجاه الباحثين، ما يتطلب بناء علاقات قوية تساهم في تسهيل عملية جمع المعلومات.

المراجع *

١. إبراهيم ، ذكري عبدالمنعم . (٢٠١٢). العشوائيات من وجهة نظر سكان المناطق الحضرية المجاورة لها .*مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد*، (١٠٠) ، ٥٤١-٥٦٧.

٢. أحمد ، محمد سيد . (٢٠١٧). الواقع الاجتماعي لبدو سيناء وأثره على الانتماء والأمن القومي: دراسة ميدانية في التهميش والاحتواء على بدو نويبع .*حوليات آداب عين شمس*، ٤٥، يوليو-سبتمبر.

٣. أحمد، حاتم عبد المنعم؛ أحمد، جمال شفيق؛ عبد العزيز، آمال محمد. (٢٠١٦). المشكلات الاجتماعية والفيزيقية لأهالي النوبة وعلاقتها بالانتماء: دراسة ميدانية بين شرائح اجتماعية مختلفة .*مجلة العلوم البيئية، معهد الدراسات والبحوث البيئية، جامعة عين شمس*، (١)٣٦ ، ١١٩-١٥٠.

٤. حماد، جمال محمد . (٢٠١٦). دور واقع التمكين الاقتصادي للمرأة في القطاع غير الرسمي: دراسة حالة للمرأة المعيلة في الريف .*حوليات آداب عين شمس*، ٤٤، أبريل-يونيو، ٢٩٧-٣٤٥.

٥. حمود، إيمان عبدالله . (٢٠٢٢). البدو ودورهم الاجتماعي في مصر .*مجلة الدراسات المستدامة*، ٤(٤)، ٢٥٢١-٢٥٣٩.

٦. داود، إيمان نصري. (٢٠٢٢). الأوضاع المعيشية للقبائل البدوية وعلاقتها بالأمن الديموجرافي: دراسة ميدانية بمدينة نويبع جنوب سيناء .*مجلة بحوث العلوم الاجتماعية والتنمية*، كلية الآداب، جامعة المنيا، ٤(١)، ١-٤٢.

٧. الشاذلي، إخلاص محمد علي. (٢٠٢٤). دور المرأة في الحفاظ على الهوية الثقافية في المجتمعات الحدودية بين مصر وليبيا .*مجلة البحوث والدراسات الأفريقية ودول حوض النيل*، جامعة أسوان، ٨(٢)، ١٠٦-١١٦.

٨. صالح، فاطمة الزهراء. (٢٠١٧). اتجاهات الجمهور نحو الصورة الإعلامية لمجتمع الصعيد في الدراما المصرية .*المجلة المصرية لبحوث الإعلام،(١)٦١* ، ٤٣٣-٤٧٢.

٩. عاطف، يمنى محمد. (٢٠٢١). اتجاهات الجماعات الإثنية في مصر نحو دور الإعلام المرئي في تحقيق الدمج الثقافي - النوبة أنموذجًا .*مجلة البحوث الإعلامية*، (٣)٥٩ ،١٤٤٣-١٤٩٤.

١٠. عمر، أسماء عارف . (٢٠١٩). التعرض لقضايا الصعيد في المسلسلات التليفزيونية وانعكاسها على تشكيل حالة المزاج لدى جمهور جنوب الصعيد .*المجلة العلمية لبحوث الإعلام وتكنولوجيا الاتصال*، جامعة جنوب الوادي، (٥)، ٩٠–٩٨.

١١. غيث، محمد.(١٩٧٩).*قاموس علم الاجتماع* .القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب . ص ٤٧٦.

١٢. القليني، فاطمة يوسف ؛ عبد المقصود، ماهر إبراهيم؛ حنفي ، دينا محمود . (٢٠١٧) .تحديث المجتمعات البدوية وعلاقته بالثوابت والمتغيرات المرتبطة بالموروث الثقافي الشعبي .*مجلة العلوم البيئية*، معهد الدراسات والبحوث البيئية، جامعة عين شمس، ٣٩(١)، ٢٠١-٢٢٣.

١٣. محمد، ياسمينا. (٢٠٢٣). القضايا البدوية كما عكستها السينما المصرية: دراسة سوسيوأنثروبولوجية .*مجلة البحث العلمي في الآداب*، ٢٤(٢)، ٢٤٣-٢٩٧.

١٤. يوسف ،أمل محمد محمود .(٢٠١٦). التشكيل الواقعي للاتصال الثقافي بين الجماعات الوافدة والجماعة الأصلية بالواحات البحرية .*حوليات كلية الآداب، جامعة عين شمس*، ٤٤(٤).

15. Degu Getu and Yigzaw Tegbar. (2006). *"Research Methodology", University of Gonda, Health Science*.

16. Mackey, Alison, Gass, Susan (2016). *Second Language Research Methodology and Design*. New York: *Routledge, Taylor & Francis Group*.

* تم توثيق المراجع وفقًا APA الإصدار السابع الصادر عن جمعية علم النفس الأمريكية (American Psychological Association).